الجهـــاد

الإمام المجدد

السيد مُحَّد ماضي أبو العزائم

مقدمة الطبعة الأولى
1387 هـ - 1967

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله يسر الإنسان لما أهَّله له, والصلاة والسلام على الروح العالية القدسية, التي سرت في الأجسام فسمت بها إلى مستوى صارت فيه الملائكة تدخل عليهم من كل باب, صلى الله عليه وعلى آله الذين جملهم الله بتلك الروح المحمدية, وأحياهم الله وأحيا بهم الحق, وعلى الأفراد الناهجين على هذا الصراط القويم, المجددين لتلك الفضائل, القائمين لله بالحجة، الداعين إلى الخير والصلاح والإِصلاح.

وبعد, فلما كان أهم ما يقوم به الفرد لأمته خدمة للنفع العام هو تذكيرهم بجمالات الدين الحنيف, وما تناله الأمة من الخير في العمل به في تلك الحياة الفانية, وما تفوز به من النعيم الأبدى بعد مفارقة كون الفساد. فدفعنى هذا المقتضى إلى عمل تطالبنى به نفسى على نشر ماللإمام أبي العزائم من أفهام في القرآن وما له من عرض لتعاليم الإِسلام وقيمه ولذلك أعتقد أنى بحمد الله ومعونته قد قمت بدورى في

هذه الآونة تجاه تراث الإمام أبى العزائم العلمى المتعدد الجوانب والذى يغطى حاجة العالم الإسلامى، وقد أخرجت هذا الإِنتاج في جوانبه العديدة.

ففى جانب العقيدة: أخرجت (1) عقيدة النجاة (2) الإسلام دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها

وفي جانب الشريعة: أخرجت (1) أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ (2) صيام أهل المدينة المنورة (3) هداية السالك إلى علم المناسك.

وفي جانب تفسير القرآن : أخرجت (1) أسرار القرآن (الجزء الأول)[1] (2) تفسير سورة القدر.

وفي جانب التصوف : أخرجت (1) معارج المقربين (2) النور المبين (3) الأدعية والأوراد والاستغاثات الكبرى (4) نيل الخيرات بملازمة الصلوات (5) الطهور المدارعلى قلوب الأبرار (6) من جوامع الكلم (7) دستور السالكين طريق رب العالمين (8) الفرقة الناجية (9) دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك (10) محكمة الصلح الكبرى (11) شراب الأرواح من فضل الفتاح (12) مذكرة المرشد والمسترشد.

وفي جانب ما يريد أن يعرفه المسلم ويكثر سؤاله عنه : أخرجت (1) النشأة الثانية (2) الوسيلة وما اختلف فيه من السنة والبدعة (3) الشفاء من مرض التفرقة (4) الجفر (5) تحذير الدين من بيع أراضي فلسطين. (6) وسائل أظهار الحق (7) معجزات وفضائل سيد المرسلين

وفي جانب توجيهات الإمام نحو الأخوة الإسلامية: أخرجت (1) الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾. (2) الإسلام وطن والمسلمون جميعاً أهله.

وفي جانب يقظة المسلمين حول المناسبات الدينية: أخرجت (1) السراج الوهاج في الإسراء والمعراج (2) بشائر الأخيار في مولد المختار.

وفي جانب القصائد الصوفية: أخرجت مواجيد شهر المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الثاني وجمادى الأولوجمادى الآخرةورجب وشعبان ورمضان والمواجيدالعزمية في مواجهة الروضة الحسينية.

---

(1) قامت دار المدينة المنورة التابعة لمشيخة الطريقة العزمية بإصدار العديد من أجزاء (أسرارالقرآن) وتوالي نشرها تباعاً.

واليوم : نقدم كتاب الجهاد في الوقت الذى أصاب الأمة العربية من العدوان الإسرائيلي مافاق الخيال في حرب يونيو 1967. ولكن هذه الهزيمة التى منيت بها الأمة العربية ما هى إلا سحابة صيف لا تلبث أن تنقشع إذا عولجت أسبابها على ضوء أصول الإسلام، وإذا أدرك المسلمون السر الكامن وراءها وهو انحصار العمل بما أوحى إلى سيد الخلق. فإن الهزائم ماهي إلا هزة عنيفة لتوقظنا وتدفع بنا إلى الأمام بعد أن نكل أمورنا دائماً إلى الله :

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون﴾[1].

فيجب ألا نقول عند الهزيمة : إن فلاناً أخطأ وفلاناً أصاب، وإنما نقول:قدر الله وما شاء فعل، ونشرع مسرعين في العمل الجاد لإعادة البناء على أسس مستقيمة وسد الثغرة ورتق الفتق، كل ذلك بعد الإيمان بالله وبأن النصر من عند الله :

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

وإنى إذ أقدم هذا الإنتاج للعالم الإسلامي أود أن أذكر ما لحقيقتي في حياتي وصورتي الباقية بعد مماتي (ولدي الأستاذ عز الدين ماضي أبو العزائم المحامي) من جهد حيث وفقه الله لجمع هذا الكتاب من مصادره المتعددة بعد أن كنا نعتقد أنه اندثر، وإن تقديرنا له في تبويبه وتحقيقه ليس اتجاهاً جديداً ولا أمراً مستحدثاً، بل إنه لا يألو جهداً في تأدية واجبه نحودعوة جده الإمام أبى العزائم وإحياء آثاره العلمية والثقافية وإبرازها في صورة عصرية على أتم وجه وأحسنه، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[3].

---

(1) سورة آل عمران آية 160

(2) سورة الحج آية 40

(3) سورة النمل آية 16

والله أسأل أن يكون رجائي فيه كرجاء زكريا عليه السلام إذ يقول : ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (1) وكقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (المرءُ يُحفَظُ فِي وَلَدِهِ).

إنك سميع مجيب الدعاء يا رب العالمين.

الخليفة الأول

السيد أحمد ماضى أبو العزائم

---

(1) سورة مريم آية 5- 6

فاتحة الكتاب

الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي ولا عرش، أو سماء أو أرض، أو جان أو إنس, لا يُدْرَكُ بوهم، ولا يُقَدَّرُ بفهم، ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل، ولا يبصر بعين، ولا يُحد بأين، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس. لا إله إلا هو أُنِيرَ بنوره كل ظلام، وأظلم بنوره كل نور.

والصلاة والسلام على شمس الهداية، المنبعث منها نور الدلالة : سيدنا ومولانا مُحَّد، صاحب الجاه العظيم، لو جاءه الظالم لنفسه مستغفراً لوجد الله عنده غفوراً رحيماً، ولو أقبل عليه الكافر مصدَّقاً لكتب صدِّيقاً حميماً. وعلى آله ورثة سيد المرسلين وحجج رب العالمين، الأئمة الهادين، الصادقين المتقين، الذين اصطفاهم الله على عباده، وشرفهم بنبيه صلوات الله وسلامه عليه، وعلى صحابته الهادين المهديين.

ورضي الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد مُحَّد ماضي أبو العزائم، المحيي للسنة، والقائم بالدعوة، أنار الله بهديه كل ظلمة، وأبطل بجهاده كل بدعة، وقضى بحكمته على كل ضلالة. ونضر الله وجه خليفته الأول مولانا الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبوالعزائم الذي امتحنه الله فكان لما امتحنه به صابرا. السيد الزكي, البر الوفي، التقي النقي.

اللهم قربه منزلة منك، واحفظه برحمتك يا سابغ النعم، ويا دافع النقم آمين آمين يارب العالمين.

وبعد.. تقدم مشيخة الطريقة العزمية الطبعة الثانية من كتاب الجهاد الذي ترفع به نداء الجهاد إلى كل مسلم – أينما كان وكيفما كان – تلبية لصراخ أطفال المسلمين الأيتام الذين فقدوا آباءهم، وعويل الأيامى اللواتي اغتال المجرمون فلذات أكبادهن.

إنه نداء مأساة، وهي ليست مأساة فرد، ولا مأساة جماعة، وإنما هي مأساة شعوب إسلامية بأسرها : في أفريقيا وآسيا وأوربا لم يراع فيها طواغيت الاستعمار الصليبي والشيوعي والصهيوني إلاًّ ولا ذمة.

مأساة شعوب إسلامية ذبح طواغيت البوذية والهندوكية أبناءهم واستحيوا نساءهم واغتالوا شبابهم.

مأساة شعوب إسلامية ديست كرامتهم، وَانْتُهِبَتْ أموالهم، وأُخرجوا من ديارهم، وانتُزِعوا من أبنائهم ظلماً وعدواناً، لا لذنب فعلوه، ولا لجريمة ارتكبوها إلا أن يقولوا ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وصدق الله العظيم : ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

فوجب على المسلمين أن يهبُّوا للجهاد للدفاع عن أنفسهم : عن كيانهم عن دينهم، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾.

نكبة الشعوب الإسلامية :

لقد توالت النكبات وانهمرت الأرزاءعلى الأمة الإسلامية في كل أرجاءالعالم وتحالف على المسلمين أعداؤهم في الشرق والغرب وأحاطوا بهم إحاطة الجزار بالذبيحة.

إن نكبة فلسطين وأفغانستان وأرتريا وأوجادين والتركستان والفلبين وكشمير وقبرص والجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفيتي، قد أدخلت على كل بيت من بيوت المسلمين في ديارهم حزنا وغما وحسرة وأسى، ولكن الدموع لا تنقذ شعوب هذه البلاد، ولا تبدِّل حالها المفجع من سيىء إلى حسن,ولم يسبق لأمة من الأمم أن استطاعت أن تحوِّل الهزيمة إلى نصر بالبكاء وحده.

لقد كان انتصار المسلمين في أيام الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ وفى أيام الفتح الإسلامي العظيم انتصار عقيدة لامراء. ولذلك كان عمر بن الخطاب يوصي المجاهدين وقادتهم بقوله : " إنكم تعرفون بماذا انتصرنا...، بالإسلام... فتمسكوا به "، وكان يقول لهم : " أَخْوَفُ ما أخاف عليكم ذنوبكم ".

والتاريخ يحدثنا أن رايات المسلمين لم تهزم حتى غلوا أو غل قسم من رجالهم فهزمهم الله. بدلوا ما بأنفسهم فبدل الله نصرهم هزيمة, وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَابِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

الجهاد فريضة :

متى يؤدى المسلم فريضة الجهاد إذا لم يؤدِّها اليوم َ؟! :

دينه يقتحمه الأمريكان والروس مع الصهيونية، ووطنه تتفجر على جوانبه الدواهي من الاستعمار الشرقي والغربي، وإخوته المسلمون أخرجتهم دول الاستعمار من ديارهم وصادرت أموالهم.

والمسلمون يجأرون بالشكوى ويصرخون من الظلم، فلا ينالون من الضمير العالمي إلا ما تناله الريح من الصخر الأصم. لأن علة ما أصابهم من الاستعباد والاستعمار إنما هي اعتمادهم على الحق دون القوة، وعلى القول دون العمل.

والجواب : أن المسلم المؤمن لايزال يعتقد أن دينه قرآن وسنة، وتاريخه فتح وحضارة، وشريعته دنيا وأخرى، وحربه جهاد أكبر وجهاد أصغر، وحكومته خلافة إسلامية. فهو مجاهد مرابط على ثغور الإسلام. فإذا لم يجاهد عدوه جاهد نفسه، وإذا لم يراقب ثغوره راقب ضميره.

الجهاد حق وقوة :

إذا كان أعداؤنا يتكاثرون بالعتاد، فليس العتاد كل شيء، ولسنا خلوا من العتاد، والعتاد ما دام يعمل في أيد مؤمنة,فإنه سيأتي بالنصر المبين, وإن كانت لاتحمله أيد مؤمنة وليس معها دافع قوي فإنه لا غناء به.

وأعداؤنا مع باطلهم يدفعهم حرص مكين ورغبات ملحة تغذي قوى الشر مجتمعة.. وإن عدموا الإيمان بالحق، فهم لم يعدموا وجود عقيدة يستمسكون بها وإن كانت خاطئة ظالمة. فباطلهم الراسخ في نفوسهم أقوى من حقنا في بعض النفوس التي لم تؤمن بشيء وانحلت فيها العزائم. فلن يكون لمضطرب اليقين قوة نفسية ولو كانت العدة كاملة والعتاد وافرا.

دروع الجهاد :

إن للجهاد دروعا بها نهزم الأعداء، وبها تعقد ألوية النصر إن شاء الله. ومن هذه الدروع:أن يكون الجهادبعزم وإصرارعلى أن نخلع من لباس الماضي كل تميع أو انحلال, وأن تصح العزائم علىأن نقرُب من الله ونعاهده علىأن يجد منامايجده من المؤمنين في قولهم وعملهم, وأن نغير ما بأنفسنا ليغير الله ما بنا، وأن نَصْدُقَ جميعا ولا نكذب، وأن نؤتمن ولا نخون, ونعمل ولا نكسل,وأن نحرص على الموت لتوهب لنا الحياة, وأن نقلع جميعاعن الغش في القول والبيع والمعاملة، وأن نتورع عن النفاق والمداهنة، وأن نصل حاضرنا بماضينا المسلم المشرق، وأن نمضي إلى العزة قدما لا نعبأ بوعيد، ولا نلقى إلى الشائعات بالا، وأن نمضي في طريق الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ وصحابته، وأن نرعى الأمجاد والمكاسب، وأن نحمى أعراضنا من الريب ونصون نساءنا من التبذل، وأن نجعل القرآن وحديث الرسول نغمنا الحلو ونشيدنا العذب وهتافنا العلوي. وأن نصل شبابنا بسيرة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وبطولته، وأن نصل مابيننا وبين دستورالله, وأن نأخذ بالتربية والتوجيه والحزم فلذات أكبادنا من أن يشغلهم التميع

فيرجّلوا الشعرويطيلوا الأظافرويتقلدوا السلاسل. وأن نحوِّل الأغاني المبتذلة والألحان المنكرة إلى نغم إسلامى جاد.

واجب الوقت في الجهاد :

يجب ألا يكون – موقفنا بالنسبة لفلسطين وأفغانستان وأرتريا وأوجادين والتركستان والفلبين وكشمير وقبرص والجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفيتى – بكاء أطلال، ونعي ضحايا وترحما على شهداء، وتوعدا بثأر فذلك عجز ويأس، إنما يجب أن يكون موقفنا إيمانا بأن الإسلام دين، وأن الإسلام نسب، وأن الإسلام وطن، وأن تكون الوسيلة إلى ذلك :

أولاً : تصفية الجو الإسلامي من سحب الخلافات وضباب المنازعات، فيتناسى الملوك والرؤساء زهوالملك والرياسات,ونشوة السلطان وأُبَّهة العرش وبريق التيجان,ولا يذكرون إلا أمرا واحدا هو الأمانة التي حملوا عن الأمة الإسلامية تبعاتها.

ثانياً : أن تقيم الدول الإسلامية علاقاتها الدولية باسم الإِسلام فقط بعد أن كشفت المعركة السياسية في الأمم المتحدةمن زاويةنشاط مصرالسياسي في المنظمة الأفريقية والأفروأسيوية ودول الحياد الإيجابي تنكر هذه المنظمات لها، لتكشف الحكومات الإِسلامية عن أعينها الغطاءأو المنظار الملون,لترى الناس على حقيقتهم ولا تنخدع بمظاهرهم,وأنه لا يصح أن نخدع حتى نجامل على حساب كياننا، وكيان إخواننا المسلمين في فلسطين وأفغانستان و... و... و...

لم نعد بعد الذي حدث في فلسطين وأفغانستان، نقبل التغاضي عما قدمته أو تقدمه بعض الدول لأعدائنا من عون مادى أو معنوي، ليزداد شراسة علينا ويثبت أقدامه في أرضنا، ويتمادى في العبث بمستقبلنا.

ثالثاً : إن العرب لا يلم شملهم إلا الإِسلام، ولا يسحق خصومهم إلا الإِسلام، ولا يوحد كلمتهم إلا الإِسلام. إن الخلافات بين العرب الآن حقيقة لا يستطاع إخفاؤها، ومع أن حماهم قد استبيح، والأزمات المادية والأدبية قد سودت وجوههم، إلاأنهم مازالوا متفرّقي القلوب وممزقي الصفوف.

ولن يزال العرب كذلك حتى يغسل الإسلام قلوبهم، ويجمع صفوفهم، ويعيد بناءهم، وَيَصُفُّهُمْ في ميدان القتال مجاهدين. وكفى أن العروبة الآن تواجه تجمعا دينيا تحت علم اليهودية، وهذا التجمع الحقيقي آخى بين اليهود النازحين من اليمن، واليهود القادمين من أمريكا, ومحى الفروق القومية واللغوية، وجمع بين المتباعدين على أساس من التوراة والتلمود واللغة العبرية، وشحن القلوب بحماس العقيدة، والقداسة المزعومة للقضية التي يستحب الفناء تحت علمها، فإذا كان الدين سلاحاً روحيا وماديا في الجبهة التي يقابلها العرب، فكيف يُطْلَبُ من العرب أن يتجردوا من دينهم في مثل هذا اللقاء؟!

رابعاً : يجب أن تختار الكليات العسكرية اللائقين بدنيا وعقليا ودينيا، فاللياقة البدنية تطلب على أساس السلامة في البدن، ولكن يجب مراعاة الكفايات العقلية، لتكون عدتنا ثقافة حربية، لأن الحروب الآن تحتاج إلى عقل مدبر متفكر أكثر من حاجتها إلى جسم رياضي. كما يجب أن يتلقى الجندي دراسات دينية لحروب النبي ﴿ﷺ وآله﴾, ومقام القواد والجنود في الإسلام, والروح التي يقاتلون بها، والهمة التي يصولون بها على أعدائهم، حتى تتربى فينا روح الجندية المؤمنة المباركة, ويكون من بيننا قواد عظام، ليس بالشعار يضعونه على أكتافهم، إنما بالدين والخلق والثقافة، والتفنن والدراسة المستمرة، والتخصص والاستفادة من التجارب، والصبر في الكفاح والاعتماد على الله إنه نعم المولى ونعم النصير.

عندئذ نكون قد أهلنا أنفسنا بالإيمان والعمل إلى نصر الله فإن الله لا ينصر إلا من ينصره، ولا يدافع إلا عن الذين آمنوا والذين اتقوا والذين هم محسنون.

إسرائيل أداة الاستعمار وركيزته :

لعل الكثير قد تساءلوا لماذا يقف الغرب هذا الموقف منا ويسخِّر كل قواه ضدنا ويدلل هذه الفئة الأفاكة الأفَّاقة ويمد لها في الشر والفساد ويقدم لها ما تشاء من مال وعتاد ؟!.

لماذا تتناسى دول المسيحية قول السيد المسيح عليه السلام لذلك اليهودي الذي منعه ظل جدار وهو مجهود " ستظل تائها في الأرض حتى أعود " ؟َ!.

فهل عاد المسيح عليه السلام في ثوب بلفور أو جنسون أو نيكسون أو كارتر أو ريجان أو بوش ؟ أم كذبت نبوءة السيد المسيح ؟.

إن محاولة إسكان اليهود في فلسطين تكذيب لكلمة المسيح وتزوير لقانون الطبيعة.

وللإجابة على هذا التساؤل يجب أن نعلم أن الأحقاد القديمة على المسلمين ممثلة في جحافل الغرب منذ قرون والتي هاجمتنا في بلادنا لتنزعها من أيدينا وتقتل في واقعة القدس وحدها سبعين ألفا من المسلمين، حتى قيض الله للأمة الإسلامية القائد صلاح الدين ورجاله العظماء، فطهروا أرضنا منهم وردوهم مدحورين إلى ديارهم.

ربما نسينا هذا حتى ذكرنا به أحد القواد الإنجليز حين دخل مدينة القدس في الحرب العالمية الأولى, ونزعها من أيدي العثمانيين, ووقف شامخاً – وهو يتذكر ما حل بأجداده من هزيمة في هذه الأرض وما ضاع منه من أمل – فيقول : " اليوم انتهت الحروب الصليبية ".

ويدخل قائد آخر فرنسي وسليل المنهزمين أمام البطل صلاح الدين، يدخل هذا القائد مدينة دمشق ويمشى إلى قبر صلاح الدين فيقول في نذالة الجبان الحاقد: "ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين ".

بالعودة إلى الإسلام سننتصر :

لقد كان لنا مع دولة العصابات الصهيونية جولات وجولات، تعلمنا خلالها أن عدونا لدود، وأنه يصدر في اعتدائه علينا وتصديه لنا عن عقيدة ملأت نفسه وملكت عليه جوارحه، بغض النظر عن صلاح هذه العقيدة أو فسادها، وقد أفلحت الصهيونية العالمية في حمل يهود العالم علىأن يضعوا تحت تصرفها كل مايملكون في سبيل أن تقيم لهم" دولة" على أرض الميعاد كمايزعمون ويفترون التي تمتد من النيل إلى الفرات,وأن تعيد بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

المحارب اليهودى يقاتل إذن في سبيل عقيدة، يهاجر من أجلها من أطراف الدنيا لينتصر بهاأو يموت,وهذا النوع من المحاربين لايستطيع الصمود له إلا<<جنود عقيدة>> لا يحارب الواحد منهم فقط لنصرة جاره أو صديقه أو إزالة قاعدة من قواعد الاستعمار وما إلى ذلك، وإنما يحارب للدفاع عن مقدسات تنتهك حرماتها، وعن حق شعب مؤمن تربطه بهم وشيجة العقيدة في أن يعيش على أرضه عزيزاً كريماً. وهنا إذا ما قضى الجندي نحبه في المعركة فإنما يقضي نحبه شهيدا ينتظره مقام الشهداء ولن يعرف الخذلان إلى نفسه سبيلا.

أخي في الله :

ليس من حقي وقد دعتنا مقاديرنا السعيدة للقاء مع الإمام أبي العزائم على صفحات كتاب الجهاد، أن أطيل وقفتك على الباب، فلأفسح لك الطريق إذن لتفيض إلى مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا.

دار الكتاب الصوفي

يوم الاثنين

28 رجب 1409 هـ

27 مارس 1989 م

الخليفة الثاني للإمام

السيد عز الدين ماضى أبو العزائم

مقدمة

الحمد لله سريع الألطاف، الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، سبحانه, يغيث الضارع، ويلبي السائل، ويجعل من بعد عسر يسرا وهو أرحم الراحمين.

والصلاة والسلام على الوسيلة العظمى والشفيع الأعظم يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وآله وورثته.

وبعد : فيقول خديم فقراء آل العزائم مُحَمَّد ماضى أبو العزائم : إنى يسرنى أن أفرح بفضل الله ورحمته عليَّ وعلى جميع إخوتي المؤمنين لأني عضو من الجسد الإسلامي.

ولما تحققت بما ألمَّ بالمجتمع من الشدائد الفادحة : كالكساد في محصولات الزراعة والتجارة، والفتن التي كقطع الليل المظلم، والخصومات التي بين الأقارب والجيران، والغفلة التي استولت على القلوب، فأنستها علام الغيوب، وأليم عقوبته سبحانه وتعالى وموقف يوم الحساب.

ورأيت النفوس – مع تلك البلايا – تجهل أسبابها حتى بلغت الغفلة مبلغاً، جعلت الناس يسارعون إلى إزالة البلايا بما يزيدها من المعاصي، فأحببت أن أوقظ قلوب إخوتي جميعاً إلى معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۝ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1].

وإلى معنى قوله ﴿ﷺ وآله﴾ في الحديث القدسى : (إذَا عَصَانِي مَن عرفَنى سلَّطتُ عليه مَن لَمْ يَعْرِفْنِي) وقوله ﴿ﷺ وآله﴾ : (مَن فُتِحَ لَهُ بابُ الدُّعاءَ فُتِّحَتْ له

---

(1) سورة الشورى آية 30،31.

أبْوَابُ الرَّحْمَةِ وما سُئِل الله شَيْئاً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ). وقوله ﴿ﷺ وآله﴾ : (الدعاءُ يَنفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ ينزِلْ، فَعَلَيْكُم عِبَادَ الله بِالدُّعاءِ).

بينت ذلك ليسارع إخوتي - وفقني الله وإياهم - إلى من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، بالتوبة والابتهال والتضرع والدعاء، قال الله تعالى دليلا على ذلك : ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [1].

معنى ذلك أن العبد إذا سأل الله عند الشدائد أنجاه منها ولو كان كافراً. وبما أن أسباب المصائب كلها هي معصية الله ومخالفة سنة رسوله, ومن المعصية اعتمادنا على القطن ومحاربة بعضنا بعضا في تأجير أرضه واغترار الملاك، ففسدت أخلاق الفلاحين مزاحمة لبعضهم، فأراهم الله عاقبة سوء أعمالهم.

ثم فسدت أخلاق التجار فاستحلوا الربا، وحصلت المضاربة بينهم والحسد، وخالفوا ما أمر الله به من الإيثار والرحمة ومساعدة إخوتهم المسلمين، فعاقبهم الله بالسلب بعد العطاء.

اغتر الصناع فتجاهروا بالمعاصي، وأمنوا جانب الله تعالى، فأخذهم الله بكساد الأعمال وقلة المال.

جهل الناس أسباب البلايا، وهذه بيوت العاهرات وحوانيت الخمر ودور الميسر وأندية اللهو والخلاعة، تصعد منها ظلمات الكبائر فتحجب عنهم رحمة الرحمن، فأصبحت الغيبة صفة لازمة للعلماء، والكيد خلقاً من أخلاق النساء، والظلم خصوصية للحكام، والبخل للأغنياء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فتنبهوا إخوتي وأقبلوا عل الله قبل أن يشتد غضبه، واعتبروا بما أصاب الأمم السابقة عند التهاون بأحكام الله ونسيان أيامه والغفلة عن ذكر الله تعالى، فقد كفى ما نزل من البلايا، فشت الأمراض الفادحة، قست القلوب حتى انتزعت الرحمة من

---

(1) سورة لقمان آية 32

قلوب الآباء، والطاعة من قلوب الأبناء، وتبرج النساء في الأسواق، وتفضح الرجال بقبيح الأعمال، فسلط الله عليهم من لايخافه ولايرحمهم, أصبح الرجل وابنه متخاصمين أمام من لا يرحمهما, والمرأة والزوج متعاديين وكأنهم صاروا كالوحوش في الغابات فأين الرحمة الإسلامية، والعواطف الإيمانية والتعاون والتعاضد التي هي من صفات المسلمين ؟ خربت المساجد فلا راكع ولا ساجد, وأقفلت أبوابها في وجوه الفقراء، وازدحمت بيوت العاهرات حتى ضاقت بأهلها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اعتبروا فقد ظهرت علامات انتقام الله ممن خالفه، وتلك بوادر غضب الله، فتداركوا قبل حصول الخطر الأكبر حيث لا تنفع التوبة. كثر الهرج والمرج، واحتقر الصغير الكبير، وظلم الكبير الصغير، وأصبحوا وكأن الإسلام لا يخطر ببالهم، نسيانا لدينهم وغفلة عن ربهم، وجحدوا يوم الحساب، ولا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه سبحانه.

الباب الأول
الجهاد وأحكامه وأساسه وأنواعه
الفصل الأول
الجهاد

تعريف الجهاد [1] :

الجهاد : هو بذل ما في الوسع في سبيل الله تعالى وهو مقولة على معنيين : الأولى إعلاء كلمة الله تعالى، والثانية الرباط لحفظ أمور المسلمين ودفع العدو عند هجومه على جماعة المسلمين، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

وبعبارة أخرى: هو استفراغ ما في الوسع لمحو ما لا يرضاه الله ورسوله, ولا يرضاه العلماء الربانيون الراسخون في العلم.

من العدو الذى أحاربه [3]؟

العدو مأخوذ من عدا, أي: تجاوز في ظلمة الحد, وكل من ظلم غيره بسلب حقه أو أوقعه في مضرة أو أعانه على ارتكاب مايغضب الله تعالى أو سلط عليه قويا ظالما, أودعاه إلى عقوق أو قطيعة أوفعل منكر فهو عدوه، ويجب أن يحاربه بقدرما ارتكبه من المظالم. والحكماء يتحفظون من الأعداء قبل تمكنهم من قصودهم, وهذا التحفظ يكون بطول اليقظة ودوام الفكرة ورعاية العبرة, ومن أهمل حتى مكن منه

(1) راجع كتاب النور المبين للإمام أبي العزائم ص 212

(2) سورة الصف آية 10 – 12

(3) راجع مجلة السعادة الأبدية العدد السابع السنة العاشرة ص 102

عدوه أوقع نفسه تحت مخالب السبع, ومتى علم الإنسان عدوه وحبيبه احتاط من عدوه بأقوى السلاح, واحترس من حبيبه.

وأهل الحكمة يخفون عن الحبيب ما يخفون عن العدو، تحرزاً من الحبيب أن يكون وقتاً ما عدواً، أو أن يبيح بما علمه لغير أهله، قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : (أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَى أَن يَكُونَ بَغِيضَكَ يوماً مَا، وَٱبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَاعَسَى أَن يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا) [1].

الأعداء ثلاثة [2] :

أولا : أعداء ملازمون :

فالعدو الملازم : هو أعدى عدوك الذي يجب أن تُعد له ما استطعت من قوة ومن رباط الخيل ترهبه به، وهو نفسك التي بين جنبيك، وجنودها : جوارحها المنفذة لأغراضها، وقائد تلك الجنود (اللسان)، وجواسيسه (العينان والأذنان)، وأنصاره المنفذون (اليدان والذَّكَرُ والرجلان)، وقوته المطالبة (البطن).

وتلك الأعداء في الحقيقة ونفس الأمرهي التي تولد الأعداء الخارجية، ومن أهمل محاربة تلك الأعداء، عاش عدوًا لنفسه، فكيف يكون صديقاً لغيره َ؟! أو يكون له صديق َ؟! إن هذه الأعداء بعينها هي التي جعلت الإنسان يفتح على نفسه أبواب الشرور كلها، لأنه بإطاعة نفسه يتخذ العدو صديقاً والبغيض حميماً ويسارع إليه ويأمنه ويستسلم له، ويعادي النصحاء والأمناء الأَوِدَّاء، حتى يمتزج بأعدائه الألداء ويتحد بهم، ويفارق أحبابه النصحاء ويعاديهم فلا يلبث إلا وقد أضاع مجده وشرفه ودينه ودنياه. ولديها ينكشف الستار عن الحقيقة فلا يجد له ملجأ يلتجيء إليه –

---

(1) رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان

(2) راجع مجلة السعادة الأبدية العدد السابع السنة السابعة ص 202

بعد الله تعالى – إلا الاستغاثة بمن عاداهم والاتحاد بمن عصاهم من أقاربه، والالتجاء إلى من ظن بهم السوء، فيسارعون في نصرته ويبادرون إلى دفع الظلم عنه، لأنهم يرون أن خيره خيرهم، وسعادته سعادتهم، كل ذلك بسبب العدو الملازم وإهمال محاربته.

وكم أذل العدو الداخل نفسا عزيزة، وأضاع مجداً تليداً، وفرق مجتمعاً فاضلا، وقطع أرحاماً موصولة. كل ذلك لأنه أطاع نفسه وهواه، وأحب الأثرة بالمال والفوز بالملاذ والشهوات، فكره من ينصحه وعادى من يشاركه, ممن له حق عليه، وصادق أعداءه. والفرد الواحد في الحقيقة ونفس الأمر هو مملكة عظيمة, وكل مجتمع يمثل بالفرد الواحد, فإذا أطاع الفرد نفسه وهواه احتقر بعد التعظيم، وامتهن به بعد الإكرام، وأضرب لك مثلا : لو أن رجلا عظيما في قومه، مهاباً في عشيرته، موثوقاً به في قرابته، أطاع حظه فارتكب نقيصة من لذة فانية، أو شهوة دنيئة، لم تبح له شرعاً ولا عقلا، يكون كسراج منير هب عليه عاصف فأطفأه، فبكم أضاع هذا المجد ؟. الجواب : بدنيئة يستنكف أدنى الناس أن يرتكبها بمال قليل. ولو تبصر المسكين لسارع إلى قطع العضو الذي أضاع منه هذا المجد، فإن الإنسان إذا أضاع مجده كان فقد الحياة أجدر به. ظهر لك أن الأعداء الخارجين لم يتمكنوا من الإنسان إلا إذا أطاع نفسه وهواه، وخالف مولاه جل جلاله.

ثانيا : أعداء مفارقون :

وهم أعداء تخفى عداوتهم ويكونون من الزوجة والأولاد، قال الله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[1]. فإن الزوجة قد يطيعها الإنسان، فيعق والديه، ويترك أرحامه، ويترك الفضائل – اشتغالا بها – ويرتكب الدنايا لجلب ما يرضيها، ما لم يقف عند الحد الوسط. وكذلك الأولاد فإنهم

(1) سورة التغابن آية 14

سبب في البخل والجبن والفساد, وقد يهمل تربيتهم الشرعية حباً فيهم, فيكونون شروره في الدنيا وعذابه في الآخرة.

وعداوة هؤلاء تكون بالفتنة، ومنها حب الرجل زوجته وأولاده حباً يشغله عن شكر والديه المفروض عليه كما قال تعالى : ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [(1)]. أو يحبهم حباً يجعله يحرص على الدنيا فيطلبهامن وجوهها وغير وجوهها,ويبخل بالمال فيجعله يجبن عن قتال العدو حرصاً على البقاء لتربية الأولاد والتلذذ بالزوجة، قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : " الولد مجبنة مفسدة مبخلة ".

وقد تكون عداوتهم ظاهرة، كفساد أخلاقهم بسوء تربية الوالد، لأن خير تربية الأبناء قهرهم على التمسك بالدين في الصغر ورعايته أخلاقهم من الطفولة. ومجاهدة هذا العدو لا يقوم بها إلا الأفراد الذين جملهم الله تعالى بالشجاعة الدينية، ومنحهم النفوس المؤثرة، ولذلك قيل في المثل : الرجل يسوس مملكة بحكمته، ويعجز عن سياسة زوجته. وما ذلك إلا لأن للشهوة سلطاناً قاهراً، قال هارون الرشيد :

مَلَكَ الثَّلاثُ الغانياتُ عَنَاني   وحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِي بكُلِّ مَكَانِ
مَالِي تُطَاوِعُنِي البَرِيَّةُ كُلُّهَا   وأُطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عِصْيَانِي
مَا ذَاكَ إلاَّ أَنَّ سُلْطَانَ الهَوى   وَبِهِ قَضَيْنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

فأكمل الحكماء حقا من جاهد نفسه وساس زوجته وأولاده، والبيت الصغير مملكة كبيرة لأن رئيسه ملك مطلق لا يتقيد بدستور, وعلى مقدار تربية البنين الصغار تكون منزلة الأمة بين العالم. لأن الأمة تتكون من عائلات، وعلى حسب آداب العائلات يكون شرف الأمة أو ذلها، ومتى كثر أهل الحق قهروا أهل الباطل، وهي

---

(1) سورة لقمان آية 14

سنة العمران حتى مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [(1)] وكل مجاهد معه الحق منصور وإن كثر عدد عدوهِ وعُدده.

ثالثا : أعداء خارجون :

أما العدو الخارج فهو الذي يتجاوز الحد في الظلم، ويكون إما مظاهراً علنياً أو مداهنا سياسياً :

1 – العدو المظاهر العلني : وهو وإن كان أنكى في العداوة إلا أنه يوقظ الهمة، وينبه إلى التحفظ، فيعلم الإنسان مالم يكن يعلم من أبواب الحيل والمدافعة والاستعداد.

وكذلك متى تنبهت العائلة أو الأمة للعدو الخارج اتحدت بكليتها إلى دفعه عنها بكل أنواع القوة، وعادت من شذ منها وابتدأت بنصيحته أو محاربته إن أبى، حتى تتفرغ للعدو الخارج.

2 – العدو المداهن السياسي : وهو العدو المحتال المخادع، أى : أنه العدو حقاً الذي يفسد الحياة الشريفة والعيشة الهنية، بتعاطي المخدرات أو بمسارعته إلى تيسير الحظوظ والأهواء الفانية، أو يبسط بساط الآمال وإظهار إرادة الخير والسعادة. أو بإظهار أنه يريد تنفيذ ما يحبه الإنسان من أذية عدو، أو نيل مشتهاته من مال أو سيادة أو جاه، حتى يتمكن منه فيأكل لحمه ويمتص دمه, ثم ينقلب عليه – كما تنقلب الأفعى – بالقوة القاهرة ظلماً وطغياناً، منكراً عليه ما يدعيه لنفسه، مثبتاً كل ذلك له مع المنة عليه، لأنه أصلح وأحسن وكان الواجب شكره، فيتنبه من رقدة غروره وشهواته، بصيراً بعد العمى، معتقداً الحقيقة بعد الجهالة. قد انكشفت له حقيقة أعدائه وأحبابه، فيفر من أعدائه بعد العيان، وإن لم يكن قد انتفع قبل بالبيان.

---

(1) سورة الأنفال آية 64

ويعلم أن عداوته لأحبابه كانت بسبب الخسران، وأن تمكين أعدائه منه بسبب طاعته لنفسه وشهواته، ومتى استيقظ الإنسان لمحاربة نفسه وحظه تمكن منها، فملكها بطول مجاهدتهاومحاربتها حتى يقهرها فتلين له. وإنا في زمان قد جهلنا فيه أعداءنا فاستنمنا لهم، وجهلنا فيه أحبابنا فنفرنا منهم، يفرح الرجل منا بمال الربا، وبمجالس اللهو، والنظر إلى الفتيات، ويحب من يعينه على الفساد والضلال، غير ملتفت إلى عدو ما بعد الغد، فلا يحفظ ديناً ولا شرفاً، ولا يدخر مالا ولا تحفاً، ويسترسل في هذا حتى يصبح يقلب كفيه، فاقداً ما لديه، ويرى ملكه العظيم في يد عدوه، أو مجده الأثيل عند أخصامه، ويرى من يعتمد عليهم أنشبوا أظفارهم في كبده، وداسوه بنعالهم. وهذا جزاء من يجهل عدوه فيصادقه لحظ يفنى وشهوة توبق في العذاب، فينخدع بحلاوة لفظه، ويفرح بأضاليل وعده، ويعادي أصدق أصدقائه طمعاً في نيل ما أطمعه فيه العدو، فيخسر كل شيء حتى أصدقاءه، والموت خير لهذا من الحياة.

قال الشاعر :

ومـــن يجعـــل الضِّـــرغامِ بَازاً لصـــيدِهِ   تصـــيَّده الضِّـــرغَامُ فـــيمن تصـــيَّدا

وقال آخر :

كـــلٌّ لَـــهُ غَـــرَضٌ يَسْـــعَى لِيُدْرِكَـــهُ   وٱلْحُـــرُّ يَجْعَـــلُ إدْرَاك ٱلْعُـــلا غَرَضـــاً

الفصل الثاني
الجهاد و أحكامه

ثبوت فرضيته :

أولا : ثبتت فرضية الجهاد بالكتاب [1] :

قال تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لم يأذن لرسوله ﴿ﷺ وآله﴾ ولأصحابه بقتال أحد من المشركين مدة الإقامة في مكة، حتى أيده الله تعالى بالأنصار من الأوس والخزرج بعد الهجرة إلى المدينة، ثم أُذن ﴿ﷺ وآله﴾ أن يقاتل من يقاتله، ثم يقاتل المشركين، ثم أُذن له بالجهاد عامة في هذه الآية الشريفة. فالقتال فرض على رسول الله وأصحابه، وعلى المسلمين جميعاً، إذا احتل العدو محلتهم بشروطه، وعلى كل من يُعينهم الإمام العدل. فهذه الآية تفرض القتال على كل مسلم في زمان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ثم صار القتال فرض كفاية، إذا قام به جماعة من المسلمين سقط عن الباقين، وعلى ذلك فالخلاف بين العلماء - إذا تقرر هذا الحكم - يصير خلافاً لفظياً. فإن بعض العلماء رأى أن القتال، فرض على كل مسلم، وذلك يكون إذا احتل العدو محلتهم. ويكون فرض كفاية، لدعوة أهل الكفر بالله إلى الإسلام، إذا كان جماعة المسلمين في أمن. وعلى مدلول هذه الآية يكون الجهاد متعيناً على كل مسلم، لأن العدو احتل أكثر بلاد الإسلام، ولا يسلم من هذا الحكم إلا متحيز إلى فئة أو متحرف لقتال.

---

(1) راجع مجلة المدينة المنورة السنة التاسعة العدد 34 ص 4

(2) سورة البقرة آية 216

ثانياً : ثبتت فرضية الجهاد بالسنة [1] :

قـال ﴿ﷺ وآلـه﴾ : (إن في الجنـةِ مِائـةَ درَجـةٍ أعـدَّهَا الله للمُجَاهـدِينَ فِي سَبِيلَ الله مِابَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنِ السَّمَاء وَالأرْض فَإذَا سَأَلْتم الله فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْس فَإنهُ أوْسَطُ الجَنَّةِ وأَعْلَى الجَنَّةِ أراه فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ) [2]. وقـال : (تَضَـمَّنَ الله لمـنْ خَـرَجَ فِي سَـبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُـهُ إلاَّ جِهَـادٌ فِي سَـبِيلِي وَإِيمَـانٌ بِي وَتَصْديق بِرُسُلِي فَهُو ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ أُرْجِعَهُ إِلى مَنزلِهِ الذِي خَرجَ مِنهُ نَائِلاً ما نال مِنْ أَجْر أَوْ غَنِيمةٍ) [3].

وقال : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لولاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ المؤمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنفُسُهُمْ أَن يَتَخَلَّفُوا عَنِّي وَلاَ أَجدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَن سَرِية تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثم أُقْتَلُ) [4]. وقال : (رِبَاطُ يَوْم فِي سَبيلِ اللهِ خَيْرٌمِن الدُّنيا ومَا فيها) [5]. وعن ابن مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله. فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : (لَكَ بها يَوْم القِيامةِ سبعمائة ناقةٍ كلها مَخْطُومةٌ) [6]. وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : (عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ عينٌ بكتْ مِن خشْيةِ اللهِ وعينٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبيِلِ اللهِ) [7]. وعن معاذ بن جبل عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قال : (الْغزوُ غَزْوَانِ فَأمَّا من ابتغي وجْهَ اللهِ وَأطاعَ الإمامَ وأنفقَ الكَرِيمَةَ

---

(1) راجع كتاب النور المبين للإمام أبي العزائم ص 219

(2) عن أبي هريرة رواه البخاري

(3) رواه مسلم واللفظ له

(4) رواه أبو هريرة وأخرجه البخاري.

(5) عن سهل بن سعد رواه أحمد في مسنده والبخاري والترمذي

(6) رواه البغوي في كتابه مصابيح السنة

(7) لأبي يعلى في مسنده والضياء عن أنس

وَياسَرَ الشَّرِيكَ واجْتنبَ الفَسَادَ فَإنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كلُّه، وأَمَّا مَن غَزَا فخراً ورياءً وسُمْعةً وَعَصى الإِمَامَ وَأفْسَد فِي الأَرْضِ فَإنَّه لَمْ يرجِعْ بِالكَفافِ) [1]. عن عبد الله بن عمرو أنه قال : يارسول الله أخبرني عن الجهاد ؟ فقال : (إن قَاتَلت صَابِراً مُحْتَسِباً بَعثَكَ اللهُ صَابِراً مُحْتَسِباً، وإن قَاتَلْتَ مُرَائِياً مُكَاثِراً بَعثَكَ اللهُ مُرَائِياً مُكَاثِراً، يَا عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرو عَلَى أَيّ حالٍ قاتلتَ أَوْ قُتِلتَ بعثَكَ اللهُ عَلى تِلكَ الحَالِ [2]).

كراهية النفس للقتال مع أنه خير لها في الدنيا والآخرة [3]:

القتال عمل يؤلم النفوس, يقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [4]، ولكنكم تقومون به اتباعاً لأمر الله تعالى رضا من أنفسكم، والله تعالى يكشف الحقيقة ويقول: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [4]، وعسى هنا لتحقيق الوقوع كلعل في القرآن، كأنه يقول سبحانه وتعالى : وما تكرهون من قتال في الدنيا هو خير لكم فيها وفي الآخرة, أما في الدنيا فبما تفوزون به على الأعداء في الغنيمة، وفي الشهادة، ذلك هو الخير العظيم في الدنيا. وأما في الآخرة فبما يتفضل الله به علينا في أن ينزلنا مقعد صدق عنده سبحانه في جوار الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. وكأن القرآن يبين لنا أن كل ما كان مؤلماً لأبداننا متعباً لها مبغوضاً لدينا, من عناء في الجهاد أو في الحج والصيام والصدقة, فهو خير لنا في دنيانا وآخرتنا. في دنيانا لحفظ صحتنا بالصيام والحج, وحفظ أموالنا وشرفنا بين إخواننا بالصدقة, وحفظ ديننا ونيلنا النعيم في الآخرة وتمكيننا في الأرض بالحق.

---

(1) رواه أبو داود وغيره

(2) رواه البغوي في مصابيح السنة

(3) راجع مجلة المدينة المنورة العدد 34 السنة التاسعة ص 4

(4)، (4)، (5)، (6) سورة البقرة آية 216.

ويكشف الله تعالى الحجاب – في قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [5] – عن الحقائق التي يميل إليها سوء الطبع من الحسد والحرص والطمع، ومن خبث النفس الأمارة بالسوء وغيرها، وهو وإن كان ملائماً لطباعنا فهو شر في الدنيا والآخرة,أما في الدنيا فإنه يفسد الصحةويضرالمرء في دينه وماله وعرضه وشرفه, وأما في الآخرة فإن الله تعالى توعد عليه بالعذاب الأليم، وصدق الله العظيم : ﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [6].

يخبرنا ربنا ﷻ أنه هو الذي خلقنا وأمدنا, وكون حقائقنا وأحاط علماً بما ينفعها في الدنياوالآخرة ومايضرها.وبين لنا سبل المنافع والمضار,ولم يحظرعلينا سبحانه أن نترك ما ينفعنا على الوجه الأكمل، بل أباح لنا ما لا بد لنا منه وأكمل، بل يسره من حيث ما تميل إليه النفس الشهوانية والغضبية والملكية. وأظهر لنا مضار ما حرمه علينا من حيث الشهوات والأخلاق والمعاملات, ومن حيث ما يحبه ويرضاه من العقيدة والعبادة, مما نطيقه مع حفظ حياتنا وصحتنا ومالنا ورفعتنا في الدنيا والآخرة, أو بفقد حياتنا إذا علم أن بقاءها لا يليق بالمؤمن. لأن الله جعل العزة للمؤمنين, فأمرنا بالجهاد وهو كره لنا ليحفظ لنا تلك العزة، وما دمنا أحياء فيوجب علينا سبحانه أن نرجع إلى علمه بنا الذي رتب عليه الأمر والنهى، ونعتقد أننا لا نعلم ما يضرنا وما ينفعنا، إذا نحن أطعنا هوانا وسارعنا إلى مايلائمنا في العاجل، غير ناظرين إلى ما ينتجه من المضار في تلك الدارالعاجلة والآجلة.

قوله تعالى : ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي : لم تنكشف لكم أسرار الغيوب المقدرة عليكم، لابتلائكم واختباركم، فإنا نرى أنفسنا إذا خالفنا أهل الرأى منا والحكمة حصل الخسران والدمار للمخالفين، وهم أناس أمثالنا، فكيف بمن خالف أمر الله ونهيه وهو العليم الخبير ؟!.

حكم الله في موالاة الأعداء :

الواجب على كل مسلم إذا أعلن الإمام الأعظم الجهاد على قوم، أن يجاهد معه بقلبه ولسانه ويده وماله إن أمكن، فإن لم يمكن فبقلبه ولسانه ويده، ويجب عليه أن يعادي كل عدو احتل بلداً من بلاد المسلمين. ومن ساعد عدواً محارباً أو محتلا بلداً من بلاد المسلمين بلسانه أو بقلبه أو بماله أو بيده سلب إيمانه، قال الله تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [3].

ومن اغتر بالدنيا فنسي الآخرة وخذل إخوانه المسلمين بمساعدة أعدائهم مرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال تعالى : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [4] فليتبين الذين يدعون الإسلام بالباطل، وليحذروا أن يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين.

---

(1) سورة المجادلة آية 22

(2) سورة الممتحنة آية 1.

(3) سورة آل عمران آية 28.

(4) سورة الإسراء آية 18.

هذا ما يتعلق بالنفس، فكيف بمن جاهروا وسارعوا في الأعداء وبينوا لهم عورات إخوانهم المؤمنين ؟! أعاذني الله وإخواني المؤمنين جميعاً من موجبات سخط الله وغضبه.

حكم ترك الجهاد :

وما ترك المسلمون الجهاد والظهور على الأعداء إلا سيموا الخسف وجُلِّلوا بالذل، وكانوا سفلة ليسوا من الإسلام في شيء، وما تقول في مسلم رضي بالحياة الدنيا وزينتها ونسي يوم الحساب إذا لم يكن متحيزاً إلى فئة أو متحرفا لقتال ؟ الحكم لا يخفى على مسلم بمعناه واعتبار هؤلاء مسلمين جهل بحقيقة الإسلام وروحه.

عاقبة ترك الجهاد :

إذا أحب المسلم الحياة – وزين له الشيطان ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [(1)] – يبخل بماله ودمه أن يجود بهما في سبيل الله، حرصاً على التلذذ بهما في الدنيا، وعلى ما يدخره لأولاده مما يجعله غيرمبال بطرقه التي يجمعها منها, وجبن أن ينصر الله ورسوله خوفاً على حياته,وفسدت أخلاقه لمسارعته إلى الدنياوحرصه عليها وترك الرغبة في الآخرة فيعيش فقيراً مع كثرة ماله، لأن الفقر إنما هو فقر القلوب، ذليلا مع كثرة عياله وحشمه، لأن الذل فقد العزة بالله تعالى اعتقاداً وحالا. وكم من فاقد القوت وهو غني بالله تعالى، تعظُم نفسه أن يرى فقيراً لغير الله تعالى. وكم من أسير مكبل في الحديد أعز من الملوك، تكبر نفسه عليه أن يلين أو يداهن ولو أُخذ بأطراف الأسنة أو طعن بالحراب، وهذا هو الغني الحقيقي والعز الحقيقي.

---

(1) سورة آل عمران آية 14.

ينتج ترك الجهاد أن يكون المسلمون رعية لغيرهم لا سيادة لهم، ومتى صاروا أتباعاً لا سيادة لهم حُكم فيهم بغير حُكم الله تعالى، وسلب العدو موارد الثروة ومراتب السيادة والوجاهة والحمية والغيرة الإسلامية، فأصبحت دورالشرف ومنازل العزةوالمجد، ومعامل الصناعات وأسواق التجارات وأنهارالزراعات وثغورالبلاد وطرق البر والبحر بأيدي العدو, وصارالعدو بين جالس على كرسي القوة والعزة، وجالس على بساط الأمر والنهي، متبختراً في رياض البهجة والأنس، أو ماشياً مرحاً في معامل الصناعات، أو متنقلا فرحاً في جلب التجارات، أو سائحاً في البلاد ليشهد مشاهد الإجلال والإعظام والبهجة.

ويصبح المسلم بتركه للجهاد بين عامل حقير يخاف الجوع والعري والذل إذا لم يتملق لعدو الله ويسمع ويطيع، ممتهنا بأقل المهن أو محترفاً بأقبح الحرف، أو يد سوء عاملة لأذية إخوانه المؤمنين، ليرضي عدو الله وعدو رسوله ﴿ﷺ وآله﴾، فرحاً بسماع كلمة من أعدى عدوه أو بنيل قليل من الدراهم، يسره أن تمحى السنة وتظهر البدع، ويسره أن يذل أهل التقوى والعلم ويرتفع أهل الكفر بالله، فيصبح كالحيوان الأعجمي أو أضل أو أذل.

انظر إلى البقرة يُحرم ابنها لبنها ويمشي وراءها مكمم الفم ظمآن جائعاً متسلياً عما فيه أمه، وأمه متسلية عما هو فيه، ثم تربط في المحراث أو الساقية فتحرث الأرض وتسقي الحرث، وتحرم هي وابنها ضرعها وزرعها. وكذلك القرد يربط فيضحك الناس مقهوراً بما يناله من الضرب والأذية ثم ينتفع غيره بنتيجة عمله. وكذلك المسلم إذا ترك الجهاد وحرص على الحياة الدنيا، يكون أدنى من الحيوان الأعجم لأن الحيوان يقهره الإنسان بفكره وحيلته, وكيف يرضى المؤمن أن يذله الكافروهو العزيز بالله، المسارع إلى نيل السعادة في جوار رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ؟ وهو يعلم أن الجهاد باب سعادته، وسبيل فوزه، والحجة التي تقوم له على صدق إيمانه ووفائه بعهده، وفيه مع

ذلك العزة لله في الدنيا، والتمكين في الأرض بالحق، والعلو فيها بالحق، وجعل أعداء الله من ملوكهم وعامتهم عبيدا يباعون في الأسواق, وأهل ذمة في ولاية المسلمين,وتكون التجارة والصناعة والزراعة والرياسة والكلمة النافذة للمسلمين.

ألوان من فتن الاستعمار [1] :

وهنا أبين لإخواننا حفظنا الله وإياهم من فتنة المستعمرين، الذين كانوا مماليك يباعون في أسواقنا, قبل مخالفتنا لكتاب ربنا وسنة نبينا. ثم لما فرقتنا الأطماع والأهواء, والتفت عنا ربنا بوجهه الجميل، تمكنوا منا، فجاسوا خلال ديارنا، وطعنوا في ديننا، وسعوا بالحديد والنارأن يردونا عن ديننا, كما فعلت فرنسا في مراكش، والإنجليز في فلسطين والسودان، وفي مستعمراتهاشرق أفريقياوغربها وجنوبها, وكمافعلت هولندا في جاوا,وكما تفعل كل أمم أوربا في مستعمراتها بطلائع الظلم والبهتان من جنود المبشرين وجنود الكيد والخداع، ثم جنود الحديد والنار. كل ذلك من مخالفتنا لسنة نبينا ﷺ وآله ﷺ.

وهنا أصارح إخواننا المسلمين مبينا لهم أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه, أجلى أمم أوربا جميعاًعن شمال أفريقيا وغرب آسيا,وأبقى النصارى بين المسلمين لأن القرآن المجيد أمرنا برحمةأهل ذمتنا, أومعاملتهم في الحقوق الاجتماعية بمانعامل به أنفسنا, ثم انتشر الإسلام حتى وصل إلى غرب أوربا وجنوبها فكانت أسبانيا الأوربية بلدا إسلامية، وكذلك البندقية، وفتحت روما بشبان من أبناء المسلمين في زمان بني أمية وانتشر الإسلام في جزائرالبحار.ثم فتح شرق أورباالجيوش العثمانيةحتى وصل الإسلام إلى بولونيا والنمسا والمجر، ولما قامت الحرب بين فرنسا وأسبانيا وتمكنت جنود أسبانيا من فرنسا، واستجار ملك فرنسا بسلطان تركيا، كتب السلطان فوراً لملك

(1) راجع مجلة المدينة المنورة العدد 35 السنة التاسعة ص 2.

أسبانيا أن يوقف الحرب، ويخرج من فرنسا وهدده فسمع وأطاع، إلى أن تمزقت الدولة العثمانية لما ركن إلى الترف خلفاؤها، ودب الضعف في المجتمع الإسلامي. وقام كل زعيم فجعل نفسه ملكا لأمته، وتعدد الملوك واختلف بعضهم على بعض فأضعفوا أنفسهم فكانت الحروب الصليبية. ولكن المسلمين مع تفرقتهم، جمعتهم كلمة الدين بغيرة لله ألقت فيها على أوروبا دروسا، خصوصا على ملك فرنسا الذي كان أسيرا في دار ابن لقمان بالمنصورة، وتلك العزيمة دعا إليها مس الدين.

كادت أوروبا للمسلمين بمكايد لا يعلمها إلا أهل الرذائل والمفاسد، فنشروا في الشرق تحرير الرقيق، ثم خدعوا قادة الشرق بالمكيفات والمخدرات، وبالنساء، اللاتي كن يهجُمن على بيوت قادة الأمم بصفة خدم ومربيات، ولا أبعد بك فإن أحد سلاطين مراكش، كانت عنده فرنسية ولدت له ولده الذي كان ولي العهد، وتولى الملك فكان فرنسيا رأيا ومعيشة وعملا، حتى خالف الشرع في أعماله، فتمكنت فرنسا وأسبانيا في زمنه من نشر مبادئ الاستعمار، ثم أرسلت أوربا جيشاً آخر من ثلاث فرق : فرقة مالية وفرقة تجارية وفرقة يسمونها : التبشير. جنودها نساء طبيبات أو معلمات، ورهبان معلمون، فافتتحوا المدارس في كل مدينة مجاناً, وبذلوا الأموال للنشء الصغيرولأهليهم حتى تمكنوا من الأمة, وأظهروا أنهم رحماء يرحمون العبيد والزنوج والفقراء والمرضى, فمالت إليهم قلوب الهمج الرعاع أتباع كل ناعق.

فما مضت عشية أو ضحاها حتى ملكوا عقارات الأغنياء، وملكوا قلوب الزعماء، وخدعوا الفقراء، وبينما الناس فرحون بهم في بلاد الشرق، إذا بالأساطيل تجوب البحار والفيالق تخرق المدن بالقلوب القاسية الجافية، والأيدي الظالمة الآثمة، تجعل الأحرار أدنى من العبيد، والعظماء أحقر من العامة، فلم ينس الناس تحرير الرقيق ولا الرفق بالحيوانات وتحققوا أنه البنج الذي خدروا به أعصاب الأمم، حتى سلبوا

مرافق حياتها، وتصرفوا في الأعراض والدين والصناعات. وهذا جزاء مخالفةالشريعة المطهرة,قال أبوهريرة ﷺ : " إنما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولها ".

والواجب علينا جماعة المسلمين أن نرجع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح، وهذا لا يكلفنا بذل جهد ولا عناء، إنما هي محبة في الله، وإخاء في الله، وعمل بسنة رسول الله، وإيثار الأخ في الله على النفس، والثقة بكل مسلم، والحذر من كل عدو للإسلام، وبذلك يعيد الله لنا هذا المجد الأثيل، ويعيد أعداءنا مماليك يباعون في أسواقنا كما كانوا لسلفنا.

كل مسلم مطالب بالجهاد :

ما من مسلم إلا وهو مطالب بالجهاد بقدره، إما بإعداد المعدات أو بها وبنفسه، فعلى العالم المتفنن أن يجتهد في اختراع ما به قوة سلطان المسلمين، وعلى التاجر أن يجتهد في جلب ما به قوة المسلمين، وعلى المزارع أن يعد ما به مساعدة المجاهدين، فكل مسلم في كل نفس يجب أن يكون مجاهدا في سبيل الله. وليس الجهاد قاصراً على مجاهدة العدو، فإن من جهز غازياً كأنه جاهد في سبيل الله، وعلى معلم الصبيان أن يبث فيهم روح الغيرة على الدين والمدافعة عنه وعن أهله. والجهاد هو العبادة التي تنبيء بكمال الإخلاص لله تعالى والتصديق بما بشر الله به, وقد كان النساء يجاهدون في سبيل الله بما استطعن, إما بالغزل أو بالنسيج أو بتجهيز الأغذية أو بضماد الجروح أو بنقل الماء، حتى كانت المرأة تقص شعرها ليكون قيداً لدابة يجاهد عليها مسلم في سبيل الله لتكون جاهدت، حتى كان كل مسلم وكل مسلمة في كل نفس يرى نفسه مجاهداً بأي معنى من معاني الجهاد، حتى الأعمى، فإنه كان يتوجه إلى بيوت إخوانه المجاهدين ليقضي لهم حاجتهم ليكتب عند الله مجاهداً.

والجهاد ينتج نتيجتين حقيقتين الأولى : علو الكلمة وعز أهلها، والغنيمة، والثانية : الحياة الطيبة في فردوس الله الأعلى والفوز برضوانه الأكبر. ولم تر عيني ولم تسمع أذني بتجارة تربح هذا الربح أبداً إلا الجهاد في سبيل الله، وإني على يقين أن أصغر مسلم يعلم أن كلمة الله لاتعلو إلا به، وأن العز الحقيقي لا يكون إلا بالجهاد، ولا شرف ولا مجد أعلى من هذا.

أسأل الله تعالى أن يكشف لقلوبنا حقيقة الجمال الرباني، الذي به ننجذب بكليتنا إلى الرضوان الأكبر.

الفصل الثالث
الجهاد وأساسه [1]

أساس الجهاد :

لا يكون الجهاد حقًّا إلا إذا أسس على العدالة والرحمة، وكل جهاد دعت إليه المصلحة فظلم وجور. والأمة التي تقهرها أمة أخرى للمصلحة يتعين عليها الجهاد، ويكون عدلا وفريضة. وقد عرفنا الجهاد أنه بذل ما في الطاقة لمحو الظلم والتظالم ودفع الضلال والبدع والرجوع إلى الكتاب والسنة.

وأقل الجهاد إنكار القلب للأمر المحرم شرعاً، ومن ألف الذل والبدع ولم يجاهد بيده وبلسانه وبقلبه – أو على الأقل ينكر قلبه – فارق الإيمان. ومن جاهد ليدفع ظلم الظالمين عن أمته، فهو ناصر للحق والحق معه، ومن كان الحق معه نصره الله ولو اجتمع عليه من بأقطارها، ومن جاهد لتكون كلمة الله هي العليا نصره الله وأيده بروح القدس، قال الله تعالى : ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ [2].

أولا : العدل :

ليس العدل رعاية المصالح ووضعها حيث اقتضت، ولا الحرص على طلب المنافع في أي وقت تهيأت، ولا المسارعة إلى دفع المضار عن من حلت به إذا استحقها، هذا هو الظلم لا العدل، وبين العدل والمصلحة كما بين النور والظلمة، والعدل في الحقيقة هو وضع الشئ في محله وإيصاله إلى مستحقه. والقوى الإنسانية منفردة لا تصل إلى حقيقة العدل لغلبة سوء الطبع. وإنما يُنال العدل حقًّا بالعمل

---

(1) راجع مجلة السعادة الأبدية السنة العاشرة العدد 3 ص 105.

(2) سورة البقرة آية 249.

بوصايا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وكل مجتمع لم يكن متمسكا بالدين، فهو محروم من الفضائل محروم من العدل الحقيقي كالمجتمعات

الجاهلية التي كانت تتغالب، وكان تغالبها على السلامة والكرامة واليسار واللذات والأسباب التي توصل إليها. والعدل عند هؤلاء هو أن يقهر القوي الضعيف، إما بمحوه كما فعل الإفرنج في أمريكا وفي الأندلس، أو بإذلال المقهورين واستعبادهم كما فعل الإنكليز وغيرهم من دول أوربا في بلاد الشرق، الذين قهروا الأمم الشرقية واستعبدوهم وكلفوهم أن يعملوا ما هو خير للإنكليز فيرون أن استعبادهم للأمم هو العدل، وأن عمل المقهورين ما هو إلا النفع والخير للقاهرين هو أيضاً عدل، ويكون سلب السلامة والكرامة واللذات والمسرات من الأمة المقهورة هو العدل والفضيلة. وهذه هي الطبيعة الإنسانية إذا لم تقهر على العمل بوصايا رسول الله. وكم انمحت مجتمعات بأجمعها، وانمحت معها فضائلها وصناعتها الفاضلة، وآدابها وأخلاقها الجميلة، بسبب هذا العدل، الذي هو عدل الأمم الجاهلية وكل مجتمع لم يخف الله تعالى كان كالفرد الذي لم يخف الله تعالى، الذي يرى مسراته في إذلال غيره وقهره على جلب الخير له ودفع الضر عنه.

أنواع العدل :

والعدل نوعان : ظاهر وباطن

(1) فالعدل الظاهر : ما تعلق بالأحكام والمعاملات، وهذا إن لم يؤخذ به من الأصول التي أنزلها الله تعالى بطريق الاستنباط أو بطريق الرأي أو القياس مع الاجتهاد فليس بعدل, بل هو ظلم في صورة العدل اقتضته مصلحة الأمة القاهرة أو الهيئة الحاكمة.

(2) والعدل الباطن: هو مراقبة الله تعالى والخوف من نقمه، وبه يكون الإنسان عدلا فاضلا. أما العدل الذي تنتجه القوة, وتظهره الرشاشات والمقذوفات الجهنميه والطيارات والغواصات فهو مصلحة لا عدل.

العدل يأمر به الكتاب وتحث عليه السنة:

العدل شئ تألفه النفوس وتعتقده القلوب وتطمئن إليه, وإن كان ثقيلا على النفوس

البهيمية مبغوضاً عند من جهل نفسه. وهو بهجة النفوس الزكية, ومقصد الأرواح الطاهرة، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ [1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: "إنَّ المقْسِطين عندَ اللهِ علَى منابرَ مِن نورٍ عَن يمينِ الرحمنِ – وكلتا يديه يمين – الذين يعدلُونَ في حكمِهِم وما وُلُّوا " [2].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : " أحبُّ الناسِ إلى اللهِ يومَ القيامة وأدناهم منه مجلساً : إمَامٌ عادلٌ. وأبغضُ الناسِ إلى اللهِ تعالى وأبعدُهم مجلساً : إمامٌ جائرٌ " [3].

وقال صلوات الله وسلامه عليه : " أوصانِي ربِّي بالإخلاصِ في السرِّ والعلانيةِ، وبالعدلِ في الرضا والغضبِ، وبالقصدِ في الغنَى والفقرِ ".

وقال ﴿ﷺ وآله﴾ : " ادفعُوا الحدودَ ما وجدتُم لَهَا مَدْفعاً، فَلأَنَ يخطئ الإمامُ في العفوِ، خيرٌ من أَن يُخْطِيءَ في العقوبةِ " [4].

ومن كلام عمرو بن العاص : سلطان عادل خير من مطر وابل.

دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة :

ومن جملهم الله تعالى بالعدل الحقيقي لا يخافون إلا الله تعالى، لأن الله تعالى هو الحكم العدل، وخلق السموات والأرض ومن فيهن بالعدل. وهو سبحانه عدو

---

(1) سورة النساء آية 135.

(2) رواه مسلم والنسائي.

(3) رواه الترمذي وقال حسن غريب.

(4) رواه أبو هريرة وأخرجه ابن ماجه.

كل أمة ظالمة، ولكنه سبحانه وتعالى يستدرج الأمة حتى إذا عم ظلمها أهلكهم جميعاً. وكم انمحقت دول

قهروا العباد وملكوا البلاد ونشروا الفساد وظن الناس أن ملكهم لايزول, فما كان إلا عشية أو ضحاها إلا وأصبحوا لاترى إلا مساكنهم, لأن الحكم العدل منتقم قهار يكره الظلم من نفسه فكيف يرضاه من خلقه ؟ ونحن اليوم في الجاهلية العمياء الثانية, إذ الجاهلية الأولى كانت في الشرق قبل بعثة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾, فإن الشرقيين سادوا وشادوا وبنوا وقهروا, فأبادهم الله تعالى وسلطهم على بعضهم حتى أبادهم الظلم وأذلهم، واحتل بلادهم دولة الرومانيين فظلموا وقهروا، فمحاهم الله بالنور الإسلامي، وها هي الجاهلية الثانية، فهم كما قال الله تعالى : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [1].

يخدعون الشرقيين بزخارف الأقوال، ويسلبون منهم كل شئ، وقد آن للشرقيين أن يتنبهوا من نومه الغفلة، ويهبوا من رقدة الجهالة، ويعتقدوا حقيقة العدل، ويطلبوه ويعلموا أنه لا يكون إلا بالرجوع إلى الدين، والعمل بوصايا سنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وها نحن في زمان سرى نسيم الحياة في تلك الأشلاء النائمة فأيقظها, ولم يبق بينهم وبين إعادة المجد الحقيقي إلا التحفظ والاحتياط، حصوصا في جميع المجتمعات الشرقية. فإن تلك النهضة، تنتج الخير الحقيقي إذا اعتبروا بالحوادث السابقة، ووقفوا أمام خصومهم وقفة مطالب بالحق، من غير أن تقتل شعورهم المصالح والأدواء الإنسانية والشخصيات.

ثانيا : المصلحة

العامل لمصلحة نفسه، أضر من الوحش الكاسر، وأنكى من الوباء، وأفسد من السيل الجاري، مع أني لا أنكر أن الباعث للأعمال هو المصالح، ولكن المصالح

(1) سورة الحديد آية 13.

المتحدة بالدين الناتجة عن الإخلاص لله، والعمل لنيل مرضاته، يكون العمل لها عبادة وإقبالا على الله تعالى، مهما كانت نتيجتها، فإن المجاهد لتلك المصلحة ينتظر الحسنيين أو إحداهما فإن ظفر بالحسنى في الدنيا، ظفر بالحسنى في الآخرة، على قدر نيته، وإن لم يظفر بالحسنى في الدنيا ظفر بالحسنى في الآخرة، وهي بغية أهل النفوس الفاضلة. وما ترك الجهاد قوم, إلا استعبدوا لغيرهم، وباءوا بالخزي والذلة، وكانت البهائم أسعد منهم وأهنأ، والجهاد سعادة للأفراد وعز للمجتمع الإسلامي، ومرضاة لله ورسوله، يعيش الناس به في راحة وصفاء، ومن قضى نحبه منهم جاور الأطهارمن أحباب الله، والأخيار من أولياء الله في فردوس الله الأعلى.

الفصل الرابع
الجهاد وأنواعه [1]

الجهاد نوعان رئيسيان: أولهما: جهاد النفس. وثانيهما: جهاد العدو.

أولا: جهاد النفس:

أول الجهاد وأجلُّه هو مجاهدة النفس حتى تكون مقهورة تحت سلطان الشريعة, مسارعة إلى العمل بمحاب الله ومراضيه.

ولا تكون تلك المجاهدة صحيحة, إلا إذا كملت المراقبة, حتى لا يصدر من المؤمن قول ولا عمل إلا بعد أن يستبين له أنه خير مشروع, وأنه خالص لوجه الله, وأنه مقصود به نيل فضل الله ورضوانه, وهذا المؤمن تكون عاداته عبادات وهو المؤمن الكامل, وغيره تكون عباداته عادات لغفلة قلبه في العبادة, وجهله بتحرير النوايا والقصود. وهذا هو الجهاد الأكبر, ومن لم يجاهد نفسه حتى تزكو لم يفلح في عمل من الأعمال. قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[2] وقال ﴿ﷺ﴾ وآله﴿﴾ : " رَجَعنَا مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَىَ الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، جِهَادِ النَّفْسِ " وقد بينا في طريق جهاد النفس بياناً شافياً فيما سبق لنا من الكتب، وطالب النجاة والسعادة يسارع إلى فهم تلك الأسرار من مواضعها.

---

(1) راجع مجلة السعادة الأبدية العدد 2 السنة العاشرة ص 34.

(2) سورة الشمس آية 7 – 9.

ثانيا: جهاد العدو:

أمـا جهـاد العـدو فأولـه إنكـار القلـب لكـل حادثـة تخـالف الشـريعة ولمـن أحدثها, فإن قوى الإنكار جاهد بلسانه مبينا الحق ومبطلا الباطل, فإن قويت المراقبة دفع ما يغضب الله تعالى بيده.

والجهاد له شروط مخصوصة, وقد بينه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بالقول والعمل والحال, وقطبه الذي تدور عليه رحاه قوله ﴿ﷺ وآله﴾: " الْحَرْبُ خِدْعَةٌ " [1] وقوله ﴿ﷺ وآله﴾ موقظاً للقلوب ومنبهاً للأفكار : " اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نعمَةٍ مَحْسُودٌ " [2] وعمله ﴿ﷺ وآله﴾ الذي هو الحجة، فقد كان يقصد جهاد قوم ويوري بهم.

وإنا والحمد لله قد أظهر الله رجالا جددوا سنن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وتشبهوا بأصحابه الكرام, فجاهدوا أعداء الله بالسيف والخديعة وإخفاء قصودهم, فنصرهم الله تعالى لتشبههم بحبيبهم واقتدائهم بعمله. أيدنا الله وإياهم بروحانيته ﴿ﷺ وآله﴾, وأمدنا وإياهم بالنصر والفتح المبين، وجدد بنا جميعاً سنن سيد المرسلين. وإنا جماعة المسلمين على يقين حق بأنه لواجتمع علينا من بأقطارها ونحن على ما عليه إخوتنا المؤمنون, لنصرنا الله وأذل لنا أعداءنا, منحنا الله الرجوع إلى ماكان عليه سلفنا الصالح, وأعاد لنا المجد إنه مجيب الدعاء.

وجهاد العدو نوعان: جهاد بالمال وجهاد بالنفس

(أ) الجهاد بالمال:

قدم الله الجهاد بالأموال على الأنفس في قوله تعالى: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [3]- وإن كانت الواو لا تقتضي ترتيباً- لحكمة، وهي أن الإنسان يحصل الأموال ويحفظها لحفظ حياته ودوام مسراته. فإذا بذل المال أولا وهو مادة حياته ومسراته صغرت في عينه حياته بذلا في سبيل الله تعالى, لأنا نجد الشرور كلها في العالم ناتجة عن حب الأموال والمنافسة بها، فكأن المال سبب الفتن والهرج

(1) رواه البغوي في كتاب مصابيح السنة ورواه الإمام البخاري في صحيحه.

(2) رواه ابن عدي في الكامل والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان.

(3) سورة الصف آية 11.

والمرج، فقدمه الله على النفس حتى يجرد المؤمنين من أسباب الفتن. ومسلم يعلم أن إخوته المؤمنين يدفعون عن أنفسهم شرور أهل الكفر بالله وظلمهم، ويدفعون عن دينهم مفاسد أعدائهم، ويمكنه أن يعينهم بفضل ماله ويبخل عليهم ليس بمسلم، وإن ادعى ذلك، لأن الله تعالى يقول : ﴿وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ [1] ورتب على الجهاد النجاة. ثم عطف سبحانه النفس على المال ليقدم المؤمن ما في وسعه من مال ونفس ليحيي سنن رسول الله, ويعلي كلمة الله, ويعز إخوته المؤمنين, وبذلك يكون عاملا لله مخلصاً وهوالذي يرتفع إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر في جوار الأطهار الذين جاهدوا في الله حق جهاده.

كل بلاء يصيب المؤمن في سبيل الجهاد هو أكمل النعم عليه:

إن الجهاد لا يكون خيراً في الحقيقة ونفس الأمر إلا بعد العلم الحقيقي الذي يعرف الإنسان به نفسه وربه وحكمة أحكامه, حتى يتكمل بالإخلاص والصدق ويتحقق بأن كل بلاء يصيبه في سبيل الجهاد هو أكمل النعم عليه, فيشكر الله تعالى على توفيقه ومعونته إياه على القيام بمايحبه تعالى, فتكون الآلام ملاذا, والقتل في سبيل الله خلاصاً من الحجب ورقيا إلى الله تعالى، قال سبحانه : ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [2] يشير هنا إلى الإيمان بالله ورسوله والجهاد بالمال والنفس بعد القيام بها حق القيام، والخير هو المحبوب للنفوس الزكية. وهذه الآية أعظم آية تحث على طلب العلم وملازمة العلماء الراسخين في العلم, لأن العلم بالتعلم والحلم بالتحلم, كأنه يقول سبحانه وتعالى: إن كنتم تعلمون حكمة الجهاد ومقداره لدي, تفوزوا بالخير الحقيقي في جواري, مشرفين على قدسي مواجهين بوجهي, وإنما تكون البهجة والمسرة بالشدائد بقدر العلم, ورجل يعلم أنه ليس بينه وبين الخير الحقيقي إلا

---

(1) سورة التوبة آية 20.

(2) سورة الصف آية 11.

طعنة رمح, أو ضربة سيف, فكيف يفر إلى ورائه ؟! وحبيبه أمامه يناديه: أسرع إلي, تنل مشاهدة جمالي, والفوز بالنعيم في مقعد صدق, أو في فردوسي الأعلى.

(ب) الجهاد بالنفس:

والجهاد بالنفس متوقف على الجهاد بالمال, وقد شكا الفقراء قلة ذات اليد فأمر رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أهل الثراء بالإنفاق وحثهم على ذلك, لأن أساس الجهاد وجود المال, لاحتياج المجاهد إلى الزاد والراحلة والأسلحة فأنزل الله تعالى:﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [1], والنفقة هو كل مال يصرف في المصالح. وما صرف في غير المصالح يسمى إسرافاً أو تبذيراً. والظاهر أن قوله تعالى:﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: في الجهاد لإعلاء كلمة الله، ونشر سنن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾. وجائز أن ننظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ فيكون بلا قيد، وتكون النفقة التي أمر بها في سبيله هي كل ما صرف في المصالح الشرعية كحج, وطلب علم, ونفقة على أولاد وأهل ووالدين, وعلى الضيوف والمحتاجين. لأن ذلك كله في سبيل الله تعالى.

تعدد المفاهيم في قوله تعالى : (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) :

ظاهر اللفظ في سياق هذه الآية خاص بالجهاد أي : ابذلوا أموالكم ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

وجائز أن يكون قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [2] تأويل هذه الآية أي: اقتلوهم عند القدرة عليهم، وتدل الكلمة على أننا لانقدم على القتل إلا إذا أنسنا من أنفسنا القدرة عليهم، فلا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة من غير بصيرة، وقد

---

(1) سورة البقرة آية 195.

(2) سورة البقرة آية 191.

كان جيش المسلمين يقاتل الروم عند القسطنطينية، وجيش الروم قدر جيش المسلمين عشرات المرات، فهجم على الروم رجل من التابعين في الجيش فقال آخر : " لا تلق بنفسك إلى التهلكة ". فقال أبو أيوب الأنصاري ﵁ : ليس هذا المقام مقام التهلكة، نزلت هذه الآية علينا جماعة الأنصار، وإنما التهلكة أن يتأخر الإنسان عن الهجوم على العدو. وقال: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها حتى نصر الله نبيه, ثم قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا نصلحها, فأنزل الله الخبر من السماء: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [1] أي: تتركوا الجهاد وتقيموا بين أهليكم في أعمال التكسب.

وجائز أن يكون المراد في هذه الآية: الرجل يذنب فيقول: لن يتوب الله عليَّ, وييأس فيلقي بنفسه إلى التهلكة، وكلنا نعلم أن الله نهانا عن اليأس من روح الله، وعن القنوط من رحمته، وأكثر من يلقون بأنفسهم إلى التهلكة، هم الجهلاء بأنفسهم وربهم، فإن الله تعالى إنما قدر المعاصي على العبيد ليندموا ويرجعوا إليه سبحانه، منكسرة قلوبهم ليمنحهم فضل اسمه التواب العفو الغفور، ولينالوا بالتوبة بعد الحوبة جمال اسم التواب، فيحبهم الله كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [2].

ولك أن تفهم في هذه الآية, أن الله سبحانه يعلمنا أن نحافظ على ديننا وأنفسنا وأموالنا وأعراضنا وأوطاننا, فنزن أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا بموازين الشرع الشريف, حتى نعيش في حصون الحفظ الإلهي آمنين فرحين ومطمئنين.

(1) سورة البقرة آية 195.

(2) سورة البقرة آية 222.

تسمية البذل في سبيل الله إقراضا له تعالى:

القرض أن يعطي الرجل لغيره مالاً يملكه ليرده إليه, إذا تقاضاه. والقرض أيضاً ما يقدمه الإنسان من حسن وسيء, قال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [(1)]. ومعنى هذه الآية أن الله تعالى يتفضل ببيان ما ننال به الفوز العظيم في الدنيا والآخرة, فيقول سبحانه: (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ) أي: يعين المجاهدين, فيقوى الضعيف, ويعين الفقير, ويجاهد بنفسه فيكون أقرض الله تعالى ماله ونفسه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [(2)]. وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [(3)]. وهذه الآية بشرى من الله تعالى لنا, لأنه سبحانه جعل ما نقدمه في سبيل الله قرضاً اقترض منا. ليكشف عنا به الحجاب ويشهدنا ما يجعلنا به عنده سبحانه وتعالى, عندية ننال ما نشاء بها كما قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [(4)].

وهذه الآية بشرى تطمئن بها قلوب المؤمنين, فإن وعد الله حق, وقد وعد الله تعالى أن يضاعف لنا نفقاتنا على الجهاد أضعافاً كثيرة, فنحرص أن نبذل أنفسنا وكل مالنا, والضعف أن ينال الإنسان ضعف ما أنفق في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف.

والقرض الحسن أن يقدم ماله ونفسه لربه ليفوز من الله بخير لايعلمه إلا هو سبحانه, كما ورد: (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). وقد

---

(1) سورة البقرة آية 245.
(2) سورة التوبة آية 111.
(3) سورة البقرة آية 261.
(4) سورة الزمر آية 34.

ورد عن ابن الدحداح ﵁, أنه أتى إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فقال: " يا رسول الله إن الله يستقرضنا ! ! فقال: نعم يا أبا الدحداح, فقال أقرضت ربي حائطاً لى فيها ستمائة نخلة ".

وقال بعض العلماء: إن الله أعطاكم الدنيا قرضاً, وسألكموها قرضاً, فإن أعطيتموها طيبة بها أنفسكم ضاعف لكم ما بين الحسنة إلى عشرة إلى سبعمائة إلى أكثر من ذلك.

الباب الثاني
أهداف الجهاد [1]

أولا: القتال للمعاملة بالمثل:

وهنا مفهوم قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[2].

اختلف العلماء في معنى هذه الآية, فقال بعضهم: هي مكية, ويكون المعنى: فمن اعتدى عليكم بالسب أو القذف فاعتدوا عليه بمثل الذي اعتدى عليكم, ويكون الأمر من الله بالاعتداء عليهم أمراً بمجازاتهم بمثل عملهم, أو قولهم, فلا يكون اعتداء أو ظلما, لأن الاعتداء من المشركين ظلم ومحاربة لله ورسوله, والاعتداء منا مجازاة لهم على سوء عملهم. وإنما سمى اعتداء مقابلة, وإلا فهو عدل, والله لا يحب العدوان كما قلنا— ولو على الظالم – والعدوان هو ظلم من لا يستحق الظلم.

وقال بعضهم: الآية مدنية, ويكون المعنى: فمن قاتلكم من المشركين فقاتلوهم مع رعاية العدل الذي يحبه الله تعالى, والمحافظة على البيان الذي بينه سبحانه في قوله: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾[3] الآية.

واتقوا التساهل مع المشركين والاستسلام لهم, وتعدى حدود الله معهم بالغلو في المؤاخذة, حتى تكونوا أطعتم أمرالله فتفوزوا بمراضيه وبنصرته لكم وتأييده. وتتحققوا معية الله بتأييده ونصره وتمكينه لكم في الأرض بالحق,وفوزكم يوم القيامة بماأعده لكم من الفضل العظيم, والرضوان الأكبر, وما بشر الله تعالى قوماً بمعيته إلا منحهم محبته,

---

(1) راجع مجلة المدينة المنورة العدد 24، 29، 30، 35.

(2) سورة البقرة آية 194.

(3) سورة المائدة آية 45.

ومــــــــــــــــــا مـــــــــــــــــــنح قومـــــــــــــــــــاً

محبته إلا تفضل عليهم فآنسهم بشهود جماله العلي في مقعد صدق عند مليك مقتدر. وقد شرحنا مقام أهل معية الله في كتاب: (الفرقة الناجية) وغيره من كتبنا.

ثانيا: القتال لدفع العدوان:

أمر الله تعالى بالجهاد تخفيفاً علينا فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[1] فإنه شرط سبحانه ألا نقاتل إلا من قاتلنا, ونهانا عن الاعتداء في القتال وبعده, ثم شدد علينا ألا نعتدي. وهذه الآية نسخت بقوله تعالى:﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾[2].

وفي قوله سبحانه: ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ دليل على أن القتال لا يصح إلا في سبيل الله, حتى ولو كان للإصلاح بين طائفتين من المؤمنين. لأن القتال لم يشرع إلا في سبيل الله, وسبب نزول هذه الآية: أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ لما توجه إلى مكة في غزوة الحديبية بالعمرة, منعه المشركون وتعاهد معهم علىأن يعتمرفي تلك المرة ويرجع في السنة المقبلة إلى مكة, وهم يخلونها له ﴿ﷺ وآله﴾ فاستعد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ في سنة سبع من الهجرة، لأن غزوة الحديبية كانت في سنة ست من الهجرة، وعزم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ على أن القوم إذا منعوه قاتلهم، فأنزل الله تعالى : ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ والحقيقة أن الله تعالى قد يقدر الاعتداء فيقع ولكنه لا يأمر به، ومعنى (لا يحب) أي : لا يأمر، وبذلك لا يرد هذا الاعتراض.

وهنا يتحقق أن الفاعل المختار هو الله تعالى، فما كان هدى ونور، فهو إرادته وأمره، وما كان ضلال وظلم فهو إرادته ونهيه ومعنى، قوله تعالى : ﴿لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي: لا يحب الاعتداء وإن قدره، ومن وقع فيما يكرهه الله تعالى مما نهى

---

(1) سورة البقرة آية 190.

(2) سورة التوبة آية 36.

عنه، فإن الله تعالى يكرهه،والأشخاص لايحبون ولايكرهون، وإنما المحبوب صفاتهم وأعمالهم التي قدرها الله تعالى عليهم، فإن الله إذا أحب عبداً أجرى الخير على يديه وأقامه فيما يحبه ويرضاه، وإذا كره الله عبداً أجرى الشر على يديه، وأقامه فيما يكرهه ووضع له البغضاء في السماء والأرض, عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ قال: " إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ إِنِّي أُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبَّهُ, فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ, إِنَّ اللهُ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ, فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ, ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ, فَلاَ يَرَاهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَحَبَّهُ. وَإِذَا كَرِهَ اللهُ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ. الحديث " [1] ففي هذه الآية دليل على أن الله لا يحب أعمال المعتدين، فيبغضهم لعملهم.

ثالثا: القتال لكسر شوكة الكفر:

إن الله تعالى يأمرنا أن نقتل أهل الكفر به سبحانه إن قاتلونا– مع رعاية التمكين منهم والتغلب عليهم في قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ [2] وهذه الآية متصلة بما قبلها, ويقال : ثقفه، أي: وجده مؤهلا للأخذ والتغلب عليه – وفي هذه الآية بيان من الله أن نأخذ الحذر منهم بإعداد العدة والعدد، واثقين بتأييد الله ونصره.

رابعا: القتال لمن أخرجونا من ديارنا وأموالنا:

يذكرنا ربنا بعمل قريش برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وبالمهاجرين من أصحابه في مكة, حيث أخرجوهم للهجرة بتضييقهم عليهم ومناوأتهم لهم, حتى خرجوا من ديارهم ويريد الله تعالى أن ينتقم من قريش بالمهاجرين الذين أخرجوهم من ديارهم, وأموالهم,

(1) رواه البخاري في صحيحه.

(2) سورة البقرة آية 191.

فيثأر لهم من أهل مكة فيقول تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾, [1] وهذا ما توعدهم الله به في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأنكى، والخطاب لرسول الله ﷺ وآله﴾ هو وأصحابه.

خامسا: القتال لمن يفتن المسلمين عن دينهم:

الفتنة في اللغة: وضع الذهب في النار ليتمحص.وهو الابتلاء في الدين أو في النفس أو في المال والعرض. والمراد هنا من الفتنة رجوع المسلمين إلى الكفر بعد الإيمان, قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (2) يعني أن قتل المسلم أخف بكثير من رجوعه إلى الكفر وخلوده في النار, فالله تعالى يعلمنا أن الفتنة التي هي الكفر أشد بكثير من القتل. خصوصاً في زماننا هذا بما يقوم به مستعمرو أوربا كفرنسا وغيرها, من قهرالمسلمين على النصرانية بسبب ما ينشرونه من الأباطيل, وما يقومون به من الانتقامات الفادحة, كل ذلك بين الله لنا أنه أكبر من أن نقتل في سبيله, ولأن نقتل في سبيله على الإسلام ونفوز بالسعادة الدائمة في جوار الأخيار, خير من أن نفتتن في ديننا فنرتد إلى الكفر حبا في متاع الدنيا الزائل.

حقيقة المرتد عن دين الإسلام:

كشف الله لنا الحقيقة مبينا أن المرتد عن دينه الحق لم يكن عليه بالحقيقة, لأن بشاشة الإسلام إذا باشرت القلوب هشت لها وبشت, ونظرت القلوب بعيون الإيمان إلى حقيقة وعد الله ووعيده, فأبت أن ترتد عن الإسلام ولو مشطت جلودهم بأمشاط الحديد المحماة بالنار, لأن عيون الإيمان تشهد ما فوق المادة من الغيب

(1) سورة البقرة آية 191.
(2) سورة البقرة آية 191.

المصون. كشف الله تلك الحقيقة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ [1] ردة أي: رجوع إلى مقتضى جوهر النفس الإبليسية المفطورة على الكفر بالله، بعد أن أسلم إسلام مقهور على الإسلام، بالطمع والرغبة أو إسلام تقليد لآبائه، فلما بلغ أشده دعاه خبث النفس إلى الكفر الذي هو مقتضى حقيقة النفس، وبقي على الكفر حتى مات عليه. دل ذلك على أنه كان في إسلامه كافراً, لأن بشاشة الإسلام لم تباشر قلبه لعقده على الكفر.

﴿فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [2] لأن أعمالهم القلبية الإسلامية مفقودة بالمرة، وأما أعمالهم الجسمانية التي لم تكن صادرة من القلب فإنها لاقيمة لها؛ قال الله تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [3].

وقال ﴿ﷺ وآله﴾: " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَانَوَى فَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ؛ وَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " [4].

ومعنى حبطت أي: هلكت في الدنيا, لأنهم بالردة يجب قتلهم شرعا؛ ومعاملتهم بالشدة والجفاء والقتل –كما هو حكم المرتد شرعاً– وفي الآخرة معلوم

(1) سورة البقرة آية 217.
(2) سورة البقرة آية 217.
(3) سورة الزمر آية 3.
(4) رواه أبو داود والترمزي وابن ماجه.

سوء مآلهم:﴿وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [1]. حكم من الله تعالى عليهم بأنهم يخلدون في النار أبد الآبدين؛ أعاذنا الله تعالى منها.

حكم من ارتد بباعث قهري:

أما من ارتد بباعث قهري, يسوغ له أن يقول كلمة الكفر بغير قلبه, أو ارتد مؤثرا عليه ثم تداركته العناية فأنقذه الله من الكفر إلى الإيمان, فإن ذلك يدل على أنه مؤمن من الأزل, وأن ردته لم تكن حقيقة, وأنه يفوز يوم القيامة بجزاء أعماله كلها إذا مات على الإيمان. وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ [2] أي: من ارتد وداوم على الردة حتى مات يخلد في النار، وأما من ارتد فرجع إلى الإيمان، فإن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجره.

سادسا: القتال من أجل المستضعفين:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [3].

ينكر الله تعالى على المؤمنين إهمالهم في الجهاد في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان, ثم وصفهم الله بوصف يثير العواطف ويقوي العزائم فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا ﴾ أي: يسألون ربهم أن يخرجهم من مكة التي ظلم أهلها أنفسهم بالشرك بالله وبظلم المسلمين المستضعفين فيها, والمراد بإخراجهم منها وصولهم إلى المدينة المنورة, ويقولون أيضاً: ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن

---

(1) سورة البقرة آية 217.

(2) سورة البقرة آية 217.

(3) سورة النساء آية 75.

﴿لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يتولى أمورنا فيدفع عنا شر المشركين وقهرهم لنرجع إلى دينهم ونفارق الإسلام: وكان أهل مكة يؤذون المؤمنين أذية فادحة ليردوهم عن الإسلام. إذن ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ أي: كن أنت وليا لنا فاعصمنا من المشركين: ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ أي: ناصراً ينصرنا على أعدائنا بما تعطيه من القوة, فاستجاب الله دعاءهم وفتح رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ مكة عنوة وأقام فيها "عتاب بن أسيد" والياً, فأعز الله المستضعفين وأظفرهم, فكان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ولياً لهم, وعتاب بن أسيد ناصراً لهم.

وهكذا يكون أهل الإيمان بالله الذين عذبوا فادح العذاب ليرتدوا عن الإسلام, وصبروا حتى نصرهم الله وأعزهم ومكن لهم في الأرض بالحق, أسأل الله أن يعيد لنا هذا المجد يقينا وهمة وإقبالا على الله وعزيمة, فنعيد المجد الذي كان لسلفنا الصالح بعناية الله وحسن توفيقه.

سابعا: القتال حتى يكون الدين لله:

إن الله تعالى يأمر النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه أن يقاتلوا المشركين من غير قيد ولا شرط حتى لا تكون فتنة, أي : لا يوجد مشرك بالله أو لا توجد له قوة ولا عصبة, قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [(1)]. ومعنى ألا تكون فتنة, أي: لا يكون كفر بالله, ومعنى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ على المعنى الأول: أن يكون كل العالم الذين يمكنهم الله منهم من أهل الشرك مؤمنين, وعلى المعنى الثاني: حتى يذلوا ويخشعوا ويتظاهروا بالإسلام ولو نفاقا كمن كانوا من المنافقين في المدينة.

(1) سورة البقرة آية 193.

فإن رجعوا عن القتال والكفر بالله إلى السلام والإسلام, فأنزلوهم منكم منزلة أنفسكم ﴿فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [1] أي: فلا تعتدوا إلا على من لم ينتهوا منهم, والله تعالى لا يحب العدوان ولا يأمر به, ومعنى العدوان هنا أي: الجزاء بمثل العمل، والظالمون هم المشركون, قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [2].

(1) سورة البقرة آية 193.

(2) سورة لقمان آية 13.

الباب الثالث
حكمة الجهاد وشروطه وآدابه [1]
الفصل الأول
حكمة الجهاد

أولا: دفع المظالم

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان مكوناً من عناصر متضادة, ومن نفوس مختلفة, فعناصره التي هي أركان الوجود الماء والهواء والناروالتراب, والنفوس المختلفة هي النفوس الشهوانية والسبعية واللطيفة الملكوتية. فإذا قوي عامل الشهوة وتسلط عامل الانتقام وتحكم, كان عبداً لنفسه الأمارة بالسوء. وإذا هداه الله ووفقه فقويت اللطيفة الملكية كان روحاً عالياً فوق ملائكة السماء, وكانت النفس الشهوانية والسبعية جاذبة له إلى نيل رضوان الله الأكبر بما يقوم به من مجاهدة النفس الملكية لها, وبما تقومان به من المسارعة معه إلى الجهاد الأكبر في سبيل الله, وإلى الورع عما يكرهه الله تعالى, فيكون أعظم مجاهد. قال ﴿ﷺ وآله﴾ : " رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ جَهاد النَّفْس " [2].

وليس من قتل بين الصفين كمن قتلت لطيفته الروحانية نفسه الشهوانية والسبعية, وإن المجندل بين الصفين قد تكون نيته الغنيمة أو الشهرة أو السيادة, بخلاف الذي يجاهد حظه وهواه في ذات الله تعالى, فإنه مخلص قلباً وقالباً, سالك على الصراط المستقيم, مقتد برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾, وليس بينه وبين ربه إلا رسول الله. فالإنسان بما فطر عليه وكون منه لا يمنعه عن الشرور الفادحة إلا سوط النقمة, أو سلطة الظالم. ولذلك فإن الله سبحانه إذا منح عبداً سلطة أو قوة وتمكيناً في

---

(1) راجع مجلة المدينة المنورة السنة التاسعة الأعداد 35، 41، 42، 43، 44، ومجلة السعادة الأبدية السنة التاسعة العدد الأول ص 13

(2) رواه البيهقي عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر.

الأرض ونسي أصله, سلب الله منه الراحة والأمن, وسلط عليه ظالماً جباراً, يسومه الخسف حتى يشغله عن ظلم الناس, فإما أن يرجع إلى الله ويتوب فينصره ويؤيده, وإما أن يزداد طغياناً وظلماً فيسحقه الله ويقهره, وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [1].

يعني أن الله تعالى قد يمكن للظالم حتى إذا طغى وبغى سلط عليه من هو أظلم منه, فيسلب ما بيده من قوة وحول ليستريح العباد من ظلمه, ومن أراد الله له السعادة – ولو صرفه في ملك السموات والأرض– لا يزداد إلا تواضعاً لله ورحمة بعباد الله وشكرا له سبحانه على ما أنعم به عليه, فيزداد إلى أن ينعم عليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ومن سبق في علمه سبحانه أن يجعل نعمة الله كفراً فيستعين بنعمة الله على غضب الله وظلم عباده, فلا يمكث إلا ريثما ينتقم الله منه بظالم غيره, قال ﴿ﷺ وآله﴾: " إنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ".

ومن نظر إلى حالتنا الحاضرة من تسليط أعداء الله على المجتمع الإسلامي بعد أن كانوا عبيداً يباعون في أسواقنا, يتحقق أن سلب الله لنا هذا الملك, كان بسبب ظلم من مكن الله لهم في الأرض. أسأله سبحانه أن يعلي كلمته, ويجدد سنن نبيه حتى يعود لنا التمكين في الأرض كما كان لسلفنا الصالح.

ولولا أن الله تعالى يحب إصلاح شأن عباده وحالهم, لمكن الظلمة منهم, فاقتدوا بهم, فمحقهم محق قوم عاد وثمود, ولكنه ﷻ يسلط أعداءه على من خالفه, كما قال ﴿ﷺ وآله﴾ : قال تعالى: (إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْه مَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي). وهي سنته سبحانه,واقرأ صحائف التاريخ, وماكان لبني إسرائيل من المصائب على يد بختنصر والروم والإفرنج إراحة لعباده من ظلم الطغاة المتسلطين،

---

(1) سورة البقرة آية 251.

وعسى أن يتذكر إخواننا المسلمون ذلك فيرجعوا إلى الله تعالى ليعيد الله لنا مجد أسلافنا الصالحين، فإن الله نصرنا سلفا بالتقوى. ورفعنابالإسلام والمحافظةعلى فرائضه وسننه. فلما اختلفنا وتركنا شرائع ديننا سلط الله علينا من كانواعالة علينا وأرقاء لنا, ومنحهم علم الصناعات والفنون والكيد والخبث, إما ليؤدبنا ويرجعنا, أو لينتقم منا ويمحونا – أعاذنا الله بوجهه – وإنا لنطمع أن يجعل الله بعد هذا الظلم والظلمة عدلا ونوراً يملأ الأرض بعد أن ملئت ظلماً وجوراً وما ذلك على الله بعزيز.

﴿وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يعني أن الله سبحانه يدفع الظالم عن ظلم عباده بالظالم من خلقه سبحانه, فيتفضل على خلقه بما له من أسماء الجمال الكثيرة التي عددها فيما نعلم سبعون, وأسماء جلاله وعددها تسعة عشر اسماً, فهو لما له من الجمال العلّي يتفضل ويحسن ويغفر ويستر ويعفو ويكرم. وبما له من الجلال والكبرياء يعدل في عباده فينتقم من الظالم بالظالم, ثم ينتقم من جميع الظلمة يوم القيامة. ويحسن إلى أهل محبته في الدنيا بالتوفيق والهداية والسمع والطاعة والصبر على ما قدره الله وما أمر به إليه, والرضا بأقداره. ثم يحسن الإحسان الأكبر يوم القيامة فينيل الرضوان الأكبر وهو الفاعل المختار لا شريك له.

ثانيا: تحقيق الرحمة العظمى

معلوم أن الله بعث محمّدا ﴿ﷺ وآله﴾ رحمة للعالمين, وكان مقتضى الرحمة أن لايجري الله على يديه إهراقا للدماء, ولا انتقاما من الأعداء, ولكني أقول لك: إن الجهاد وإهراق الدماء من الأعداء هوالرحمة العظمى للعالم أجمع, لأن المشركين بعد إقامة الحجة وظهور الدلائل على التوحيد, وبيان مناهج الله تعالى التي بها نيل السعادتين, يكون المنكر لها, والصاد عنها, والمعاند لها, ليس في الحقيقة من بني الإنسان, وإن ولد من والدين آدميين, فإن المعتبر هنا النفوس لا الأجسام. والنفس الإبليسية الخبيثة إذا منحت الجنود المطيعة كالسمع, والبصر, والشم, واليدين,

والرجلين, والعقل الإنساني, كانت شرا على المجتمع من الشيطان الرجيم, وأضرعليه من الوحوش المفترسة, لأنها توقع الناس في الإفساد في الأرض بالباطل, وبإهلاك الحرث والنسل, وكل ما يتولد منها يكون شراً منها, والرحمة استئصالهم من على وجه الأرض.

فإن الواجب على كل مسلم إذا استطاع أن يقتل الوحش الكاسر والثعبان القاتل, وتركهما وقع في خطيئة كبرى, مع أن الوحش الكاسروالثعبان القاتل نهاية ضررهما إهلاك رجل بالموت والموت لابد منه, أما هؤلاء الأناس الذين خبثت نفوسهم, يهلكون الناس في الدنيا والآخرة فالهلاك بهم شر مستطير, واستئصالهم هو الرحمة, ونحن نرى أن سيدنا عيسى عليه السلام قال: (بُعِثْتُ بِالسَّلْمِ) فأهلك الله كل من ادعى اتباعه, لأن النفوس الخبيثة بقيت مزدوجة مع النفوس الطيبة, فأوقعها خبثها في الكفرالصريح باتخاذ عيسى ابناً لله, تنزه الله تعالى عن الولد والوالدة. والحكمة بتر العضو الذي يفسد الجسم, وبتره هو الرحمة. والكفرمرض وبئ في المجتمع, يجب على أهل الإسلام استئصال المشركين منهم, والضرب على أيديهم, لتمنعهم الذلة عن الظهور بالباطل على أهل الحق, فسيف الإسلام المسلول على أعناق أهل الكفربالله وأهل الظلم والتعدي, هو المشرط في يد الحكيم الرءوف الرحيم, الذي يحرص على سلامة الجسد ليعيش نافعاً فينال السعادتين.

الفصل الثاني
شروط الجهاد [1]

أولا: أن نقاتل في سبيل الله

يأمر الله المؤمنين من لدن مُحَمَّد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إلى يوم القيامة بأن يقاتلوا من أوجب علينا قتالهم بعد أن بين الله لنا ما بين, من أنه سبحانه بيده ملكوت السموات والأرض يحيي من يشاء ويميت من يشاء بقتال وبغير قتال. وأنه يحيي من أمات بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [2] فمن قدر له النسيئة في عمره, وخاض ميدان القتال خرج سالماً ظافراً. ومن قدر عليه الموت وحصن نفسه بكل الحصون مات رغم أنفه. وأمر الله لنا بالقتال لحكم علمها من علمها وجهلها من جهلها, منها أن يكون قتلنا في سبيل الله حياة باقية عند ربنا يرزقنا الله بها في كل نفس رزقاً جديداً, وذلك الرزق هو ما يتفضل الله به علينا من جزاء أعمال من جاهدناهم فأسلموا وعملوا بالكتاب والسنة, أو من جاهدناهم فسلم الناس من ظلمهم ومن التظالم لهم. ويرزقنا الله تعالى عوضا عما بذلنا في سبيله خيرا مما كان لنا, فيمنحنا نفخة القدس التي نشهد بها عليَّ جماله في الأفق الأعلى, وروحاً عالية ملكوتية نشهد بها جلي آياته في الأفق المبين, بل وتكون أرواحنا في عليين. فإذا كان يوم البعث جعل الله لنا أجنحة نطير بها إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وهذه العطايا يتفضل الله بها على من استشهد بين الصفين, حاضر القلب مسارعاً إلى لقاء ربه, فرحا بمفارقة كون الفساد.

---

(1) راجع مجلة المدينة المنورة السنة التاسعة الأعداد 41, 42, 43, ومجلة السعادة الأبدية السنة التاسعة العددالأول 139.

(2) سورة يس آية 82.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] أي: وقاتلوا في دين الله ليكون الدين كله لله، فيتحقق المجاهد بنيل تلك المنزلة العالية, بأن يكون مجاهداً بقلبه وجسمه وماله وآله, لا يخطر على قلبه رغبة في غنيمة, أو سيادة أو فخر أو رياء أونعرة حزبية, بل تكون كل قواه التي كون منها مستغرقة فيما وجه وجهه إليه من نيل رضوان الله الأكبر, وإعلاء كلمته وتجديد سنة نبيه محمد ﷺ وآله.

وتيقنوا أن الله يسمع كلام أنفسكم من خواطرها ووارداتها ونواياها فلا يخفي عليه شئ, عليم سبحانه وتعالى بما تكنه قلوبكم وما تجترحه جوارحكم, وعليم سبحانه بهممكم وعزائمكم, فيتفضل على من سمع وأطاع بإحسانه في الدنيا بالنصرة والغنيمة, وفي الآخرة بالفوز بالنعيم المقيم في جوار الأخيار, أويجازي من خالف أوامر الله تعالى ووقع في نواهيه بالخذلان والخيبة في الدنيا وبالعذاب الأليم يوم القيامة.

ثانيا: أن نأخذ من هزائم الأمم السابقة عبرة وعظة

إن من خالفوا سنة أنبيائه وعصوا أوامر الله يسلط عليهم أعداءه وأعداءهم حتى يستعبدوهم, كما فعل المسلمون في هذا العصر من مخالفة سنة رسول الله وترك العمل بكتاب الله, فسلط عليهم في كل بقاع الأرض أعداءه الإفرنج وأعداءه المجوس وغيرهم, وصارالمسلمون لخروجهم عن الكتاب والسنة شيعاكما حصل لبني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ

(1) سورة البقرة آية 244.

وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [1].

فهذه الآية أنزلها الله تعالى تهديداً لمعاصري رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ من يهود بني إسرائيل من أهل خيبروالنضير وقينقاع, وبشرى لأهل الإيمان ليحثهم الله بها على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من بيع النفس والمال له سبحانه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ [2] ومن با ع السلعة كيف يرجع فيها ؟.

وما من آية نزلت في بني إسرائيل, تدل على أن الله غضب على أمة من الأمم بسبب عمل من الأعمال, أو رضي عنها بسبب ما قاموا به من السمع والطاعة لله ولرسوله إلا وجرت بذيلها الأمة الإسلامية. فقد كنا في زمن سلفنا الصالح نملك من غلمان أوربا وفتياتها كثيراً, نشتريهم من أسواقنا, وكان لنا الحول والطول أيام كنا نعمل بأحكام ديننا, فلما أن خالفنا سنة نبينا, ونسينا أوامر ربنا وأخذنا بالحظ والهوى والرأي, سلط الله علينا من كانوا لنا عبيداً يباعون في أسواقنا, فأصبحنا أذل من العبيد, ولأننا بمخالفة الله ورسوله أصبحنا أعوانا لهم على أنفسنا, فلا ترى مسلماً يتذوق طعم الرحمة لأبيه أولأخيه أو لأمه, حتى أصبح أعداؤنا يسلبون مرافق حياتنا, ويضربوننا ببعضنا, وكلما أردنا أن نتحد على العمل بكتاب الله وسنة رسوله, قام العدو بخيله ورجله فمني منا قوماً, ووعدهم المساعدة والنصرة والتأييد فقاموا يضربون وجوه بعضهم بعضا, حتى إذا أضعفوا أنفسهم, وضع نعاله فوق رؤوس عظمائهم وكبرائهم فأصبحوا حثالة لا يستجيب الله دعاءهم إذا دعوا, ولاينظر إليهم إذا جاءوا, ولا يرحمهم إذا ذلوا, قال أبوهريرة ﷺ: " إِنَّمَا يَسْعَدُ آخِر هَذِهِ الأُمَّةِ بِمَا سَعِدَ بِهِ أَوَّلُهَا".

---

(1) سورة البقرة آية 246.

(2) سورة التوبة آية 111.

وقد أصبح الدعاة للحق بالحق قليلين جداً, وأصبح المنتحلون الدعوة إلى الله أضر على المسلمين من الشيطان الرجيم, لا يخافون الله ولا يرجون اليوم الآخر, ملأ الحسد قلوب العلماء, وأفسد الظلم قلوب الولاة والأمراء, أذلت الخيانة أنفس التجار, وأفسد الكيد النساء. حتى أصبح العلماء في مصائد إبليس بالحسد, والحكام في مصائده بالظلم, والتجار في مصائده بالخيانة, والنساء في مصائده بالكيد, قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور﴾[1]. وتلك سنة الله في خلقه من لدن آدم. فإن الذي أفسد آدم وهو في الجنة, كيف يعجز أن يفسد من أحاطت به الفتن والمصائب ؟ وفي هذه الآية تهديد من الله تعالى لجميع خلقه الذين يظنون أنهم في ستر لا يراهم أحد, ويقعون فيما يغضب الله, ويجهلون أن الله عليم بهم, أو ينسون ذلك. ومتى راقب العبد ذلك العليم الخبير القريب, الذي هو أقرب للعبد من حبل وريده, دلت تلك المراقبة على خوفه من الله وعظيم قربه منه, ولوربط الحجر على بطنه جوعاً.ولوفقد تلك المراقبة مع ما فيه من القوى المتضادة الدافعة إلى العلو والكبرياء في الأرض, وطلب الغني والمنافسة, لا يجد حصنا حصينا يدفع عن نفسه شرورها إلا بما يمن الله به على العبد من تلك المراقبة.

منَّ الله علينا بحسن مراقبته في أحكامه وبكمال مراقبته في جلاله, حتى نكون له كما يحب, كما أنه سبحانه لنا كما نحب.

ثالثا: أن نحافظ على الصلوات حتى في وقت الفزع الأكبر

بعد أن أمرنا الله بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى بين لنا كيف نحافظ على الصلوات في وقت الفزع الأكبر عند التحام الصفين فقال سبحانه: ﴿فَإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[2]

(1) سورة سبأ آية 13.

(2) سورة البقرة آية 239

أي: فإن خفتم من عدو غاصب أو متغلب وقمتم لدفعه مجاهدين في سبيل الله, ففي وقت الملحمة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى, رجالا أو ركبانا، يعني أن الرجل منكم وهو ماش في الملحمة يصلى الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين بالإيماء, إلا أنه يخفض للسجود أكثر من الركوع, مولياً وجهه حيث كان الشأن الداعي. ففي قوله: ﴿رِجَالاً ﴾ أي: مشاة و ﴿رُكْبَانًا ﴾ أي: على ظهور الخيل, أو وقوفاً خلف المدافع وفي أيديكم السيوف والمسكتات (البنادق), أو الرماح والحراب.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ ﴾ صورتان.

الصورة الأولى: النصرةعلى الأعداء, ونيل الغنيمة والأسرى, وفي هذا يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل الفزع, فنصلي كما علمنا الله ﷻ في حالة الأمن.

والصورة الثانية: ولم يذكرها المفسرون ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ ﴾ أي: رجع العدو عنكم إلى مرابطه فإن الواجب شرعاً أن يقسم الإمام الجيش قسمين: قسم يقف على جبهة الجهاد, وقسم ينصرف معهم فيقيم بهم الصلاة.

فإن كانت صلاة ثنائية كصلاة السفر, صلى بالقوم ركعة وأطال الوقوف, حتى يتم مَنْ خلفه الركعةالثانية, ويسلموا وينصرفوا إلى الواقفين على جبهة الجهاد, فيدركون الإمام واقفاً فيصلون معه ركعة, ويسلم الإمام ثم يقومون فيأتون بالثانية أفذاذاً.

وإن كانت الصلاة رباعية, صلى الإمام بالنصف الأول ركعتين, ووقف مطيلا الوقوف حتى يتمواالركعتين الثانيتين, وينصرفوا إلى المرابطين على الصف في الجبهة, فيسرعون إلى الإمام ويدركون معه الركعتين الثانيتين له الأولتين لهم, عملا لا قولا فإذا سلم الإمام وقفوا فأتوا بالركعتين الأولتين قولا, الأخيرتين عملا, وسلموا, فإن كانت

الحكمة تقضي باتصالهم بإخوتهم المرابطين, أسرعوا لهم. وإن لم يكن ثم فزع, استراحوا إلى أن تنتهي المدة المعينة لهم عرفا.

رابعا: أن نطيع القائد ونبتعد عن الشهوات

لما أجمع بنو إسرائيل على أن يخرجوا لقتال العمالقة أراد الله أن يكشف لطالوت خبايا القوم ليعلم من يصدق معه في القتال ممن ينقلب على عقبيه ليخرج معهم مطمئن القلب, وكان قبل خروجه احتاط لنفسه فقال: لا يخرج معي من بني بيتا ولم يتمه, ولا من تزوج ولم يدخل بزوجته, ولا مشتغل بتجارة, ولكن يخرج معي الشباب الناهض.

فخرج معه ممن اختارهم ثمانون ألفاً أو أقل كما ورد. وأراد الله تعالى أن يمحص القوم حتى لا يكون مع طالوت إلا من يثق بهممهم وعزائمهم ورغبتهم في نيل ثواب الله تعالى وعلمهم بفناء الدنيا فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [1]. وفي تلك الآية سر غامض يتذوقه أهل الورع من المسلمين, لأن الله سبحانه وتعالى قد يهب العبد بسطة في الرزق, ويكون العبد ورعا زاهداً فيكتفي بالقليل من القوت مع قدرته على الشهي اللذيذ, لأن تلك الآية الشريفة تدل على أن الله يحب من عباده أهل الورع والزهد.

فإنه تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ وهم في أشد ما يكون من الظمأ من حرارة الصيف, فيكون امتناعهم عن الشراب مع توفر الدواعي دليلا على ورعهم ووقوفهم عند أمر الله تعالى, وتكون إطاعتهم لحظوظهم ونفوسهم الشهوانية, دليلا على أنهم يحقرون أوامرالله, ويجعلون الحكم منهم

(1) سورة البقرة آية 249.

عليهم, والله تعالى تنزه عن أن تراه الأبصار أو تدركه العقول, ولكن ظهر لعباده في أمره ونهيه, فتعظيم الله محصور في تعظيم أمره, ومن أهان الأمر أهان الآمر.

فرجع اليهودإلى عادتهم من مخالفة الأنبياء والمسارعة إلى أهوائهم وحظوظهم, لذلك فإن الذين شربوا من النهرحرموا التوفيق والهداية ونصرة الله ونبيه, ومن امتنعوا ظوا بالصدق وبالنصرة والظفروبالغنيمة وبالجنة يوم لا ينفع مال ولابنون. نسأل الله أن يعيذنا من الابتلاء ومن الدخول في التجارب.

خامسا: أن نعتقد بأن العدد القليل المؤمن خير من الكثير الغير مؤمن

بين الله لنا أن أهل الإيمان وحسن الظن به سبحانه هم الذين قال فيهم: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللهِ﴾ لأنهم يعلمون علم يقين مؤيد بلقاء الله تعالى حتى كأنهم يشاهدون قوته وقدرته سبحانه على إهلاك أعدائهم, وفي قوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [(1)] دليل على انبلاج الحقائق لقلوبهم حتى تحققوا إطلاق قدرة الله, وكمال ملكه المطلق على عبده, ودرسوا تاريخ الأنبياءوالملوك السابقين من أسفار نوح، والخليل, ولوط، وهود, وشعيب, وموسى, وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم, فكان العلم بتاريخ الأوائل مع نور الإيمان الذي جعله الله في قلوبهم يجعلهم على يقين تام بنصرة الله لهم لأنهم قاموا لنصرته سبحانه قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [(2)] ومعنى الآية: كثير من فئات قليلة العدد والعُدد غلبت فئات كثيرة العدد والعُدد, وذلك بإذن الله, أي: بتقديره تعالى وقوته ﴿وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: ونصرة الله وتأييده وقوته مع الصايرين الذين ملأوا قلوبهم يقيناً, فألقوا بأنفسهم أمام العدو القوي غير مبالين بما يصيبهم في سبيل الله.

---

(1) سورة البقرة آية 249.

(2) سورة مُحَمَّد آية 7.

سادسا: أن ننصر الله على أنفسنا

يقول الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [1] يظهر لى هنا– والله أعلم بمراده– أن المسلم ينصره الله على نفسه بقبول توحيده وتصديقه لرسوله ﴿ﷺ وآله﴾ ومحافظته على عبادته مع الرضا عنه سبحانه وتعالى فيما قضى وقدر, قاهراً نفسه إذا هي نازعته أو شذت منه، حتى يسلم لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ تسليما, ولا يكون ذلك للمؤمنين إلا بمعونة الله وتوفيقه. ومتى جمل الله المسلم بهذا الجمال أقامه مقام العامل له سبحانه, ومنحه الهمةوالغيرة لله مجاهداً في سبيل الله أعداءه الخارجين عنه بعد مجاهدة أعداء الله في نفسه,فينصره الله تعالى ويمكن له في الأرض ويهب له العزة التي وعده بها في القرآن ومن نصرة الله, نصرة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وهي قهر النفس على العمل بوصاياه والتشبه به ﴿ﷺ وآله﴾ حتى يكون أشبه الخلق به صلوات الله عليه, وبذلك يكون صورة مُحَّدية كاملة يسخر الله له بها ملكه وملكوته فيلبيه إذا دعا, ويجيبه إذا سأل, ويغنيه عن شرار خلقه, وينفعه وينفع به في الدنيا والآخرة, وكفاه نصرة من الله تعال ما بشره به الله سبحانه في القرآن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [2] أي: ينفذ ما قضاه سبحانه بقوة وبطش لا يعجزه شئ، فلا يحتاج سبحانه في إهلاك أعدائه إلى معين من عباده من جيش أو آلات حربية أو سياسة أو تدبير, ولكن أمرنا سبحانه بالجهاد– لا لعجز واحتياج– بل ليقيمنا فيما يحبه ويرضاه, لنكون يوم القيامة على منابرمن نور أمام وجهه الكريم, في جوار الأطهار من الرسل والأخيار.

---

(1) سورة الحج آية 40.

(2) سورة الحج آية 40.

الفصل الثالث

آداب الجهاد (1)

الجهاد فريضة على المؤمن:

افتتح الله ﷻ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ۞ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (2) بنداء المؤمنين نداء القريب للقريب، فأنزل المؤمنين منه منزلة المواجهين بوجهه الجميل الحاضرين معه سبحانه وتعالى الذين وهبهم الله آذانا في قلوبهم تصغى بها فتسمع كلام الله ﷻ, وهذا مقام محبة الله للمؤمنين لأن محبة الخلق لله هي في الحقيقة لأنفسهم لما تصوروه من جماله العلى الجلي, وما علموه من كماله القدسي, ومحبة الله تعالى للخلق إنما هي للخلق, ومن أحبك لنفسه تملق لك وسمع وأطاع وتحمل ثقل محبتك, ومن أحبك لك أنذرك وبشرك وأمرك ونهاك لترقى إلى مقامات الوصال, وتفوز بنيل الكمال, ولما كانت محبة الله تعالى للمؤمنين هي لنا لا له سبحانه وتعالى, كان سبحانه وتعالى هو الآمر الناهي وكنا نحن السامعين المطيعين المسلمين لأحكامه قدراً وشرعاً.

إذا تقرر هذا الأصل للعقول وكشف الله الحجاب عنها, علمنا مقدار الخير الحقيقي بالسمع والطاعة لرسوله فسارعنا إلى القيام بما أمر الله تعالى به والبعد عما نهانا عنه, ببهجة ولذة وفرح، لما نتحققه في أن تلك الأوامروالنواهي لمحض خيرنا, لأن الله سبحانه تنزه عن أن ينتفع بطاعتنا أو تضره معاصينا، وأن أهل القلوب التي اطمأنت بذكر الله، يتكلمون بقلوبهم مع الله تعالى، وإذا سمعوا الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ قالوا: لبيك وسعديك, كأنهم حاضرون معه, لأن الآذان تسمع

(1) راجع مجلة السعادة الأبدية السنة السابعة العدد 7 ص 177.

(2) سورة الأنفال آية 45 – 46.

من الإنسان, والقلوب تسمع من مقلبها سبحانه وتعالى. يقول ربنا ﷻ: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾, ومنحهم الله القبول فضلا منه وكرما, فقبلوا عن الله ورسوله, وأقبلوا بعد القبول بكليتهم على الله تعالى لأنه سبحانه وفقهم وأعانهم، وشرح لعمل الخير صدورهم, وفي محابه ومراضيه أقامهم.

آداب المجاهدة:

أولا: أن يثبت المجاهد عند ملاقاة الأعداء

أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يثبتوا في الجهاد متيقنين بنيل الحسنيين, أي: بنيل حسنى الشهادة في الدنيا, وجوار أنبياء الله تعالى صلوات الله عليهم في الدار الآخرة. والثبات إما الإقدام بصدق إن أمكن, أو حفظ المركز الذي هو فيه حتى ينصره الله تعالى, أو يفتح له باب الجنة, وهذه الآية ليست ناسخة لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ﴾ [1] فإن التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة هو عين الثبات والحكمة، وهي من حسن التدبير الذي يسمى سياسة.

ثانيا: أن يذكر المجاهد الله كثيرا

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا﴾ [2] بين الله تعالى للمؤمنين أن أعظم الشواغل وأجل الشدائد لا تحجب المؤمن عن ذكر الله تعالى. فالذكرلابد منه في أوقات الهرج والمرج والشدائد المؤلمة فكيف يغفل المؤمن عنه في أوقات فراغه وراحته ؟ أنا أعتقد أن المؤمن عند الفزع الأكبر يلتجيء إلى الله تعالى بالقلب وكل الجوارح، فيذكر الله بقلبه بالإخلاص وتفويض الأمور إليه

---

(1) سورة الأنفال آية 16.

(2) سورة الأنفال آية 45.

ﷻ, والفرح بقرب لقائه, والطمع في إعلاء كلمته ونصرة حزبه سبحانه, حتى يكون الله تعالى أقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه, وهكذا يكون ذاكرا لله ذكراً كثيراً.

ثالثا: أن يكون المجاهد مطيعا لله ورسوله:

وذلك بقبول ما أنزله الله من بيان ما يجب أن تنعقد عليه القلوب من العقيدة الحقة, وتتجمل به الأبدان من الأحوال السنية, والأعمال السنية, وما يحبه سبحانه وتعالى من الأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة, فإنه سبحانه وتعالى أنزل على حبيبه ومصطفاه كتاباً مجيداً تبيانا لكل شئ يحبه ويرضاه, فاسمع أيها الجندي بآذان قلبك وأقبل بعد السماع بكليتك مسارعة إلى نيل رضوان الله والفوز بما وعد به أولياءه الأطهار.

كما يجب على المسلمين أن يطيعوا رسوله ﴿ﷺ وآله﴾ فيما بينه لنا من تفصيل المجمل, وبيان المبهم, وتعيين العبادات بحركاتها وسكناتها, فإنه ﴿ﷺ وآله﴾ بين لنا ذلك بقوله, وعلمنا بعمله ووضح لنا بحاله وأخلاقه صلوات الله وسلامه عليه, وهو المعصوم بالله الذي لا ينطق إلا عن الله تعالى.

وهنا لطيفة قد يتسنى للمؤمن ملاحظتها: وهي أن الله سبحانه وتعالى عطف طاعة رسوله على طاعته ليبين للمؤمن أن يستعيذ بالله ويتحصن بحصون وقاية الله تعالى, من أن يتبع هواه إذا خالف السنة أو يطيع شحه أو يعجب برأيه, بل الواجب على كل مؤمن أن يزن عقيدته وعبادته وأحواله ورأيه وهواه بميزان السنة, فإن وافقت السنة فهو على الطريقة القويمة والصراط المستقيم والمنهج الحق, وإن خالفت السنة وجب عليه أن يتبرأ من عقيدته وعمله وحاله ورأيه وشهوده, ويعتقد أن سنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ هي الحق, الموصلة إلى الحق, وأن ما عداها هو الباطل, وإني لأنصح لكل أخ جمله الله تعالى بأحوال آل العزائم أن يعادي كل عقيدة وحال وشهود ووجود

ورأى لم يكن مستمدا من السنة وأن يخاف مقام ربه, ومن أطاع شهودا يخالف السنة أو حالا قهره لم يؤخذ من السنة, فقد أطاع الشيطان, فإن أمر الله لنا بطاعة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ دليل على أن في الحقائق الإنسانية ما يجذب إلى أسفل سافلين, ويعين على الباطل ويبعد عن الحق, وكم من ههاوٍ في الدرك الأسفل من النار وهو مبتهج بكشفه وحاله وعمله, أعاذنا الله من مخالفة سنة نبيه ﴿ﷺ وآله﴾.

رابعا: ألا تكون الأمة المجاهدة متنازعة متفرقة

مرض التنازع ما فشا في الأمة إلاأفسد العقيدة والخلق ومحا الملك والعزة, وأنسى العبادة والخشوع والخشية من الله تعالى, وأظلم القلوب بسوء الظن بالإخوان, ومن فتح باب المنازعة على المسلمين باء بغضب الله وسخطه وتحمل الآثام بقدر ما أفسده التنازع. نبهنا

الله في كتابه العزيزإلى حسن الخلق والدعوة إلى الله تعالى بالعطف والرحمة ولين الجانب, وحثنا سبحانه وتعالى على أن نكون أطباء رحماء بالقلوب, نحقرالدنيا وزينتها ونحب الخير لكل مسلم ونسارع إلى نجاة إخوتناالمؤمنين ممايوبق الإنسان في الدنيا والآخرة, وخصوصاً في مثل هذا الزمان الذي أهملت فيه حدود الله, ولم يكن هناك سيف يكبح جماح النفوس, ولا سوط يرد طغيان الأجسام, وقد انتشرت المفاسد في البروالبحر, وألفها الحس وأنست بها النفس وتلذذ بها الجسم, ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. تنازع المسلمون ففشلوا وسلط الله عليهم من كانوا أتباعا, فزالت العزة وضعفت القوة وانفصمت عروة الجماعة, والله لا يخلف وعده.

يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [(1)].

معنى التنازع أنه مخالفة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾, كالذي حصل من الصحابة يوم أحد، فأدى إلى الفشل أي: الجبن والضعف أمام العدو.

أما قوله تعالى: ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ فمعناه ضعف اليقين المؤدي إلى الهزيمة أمام العدو, وكشف العورات له حتى يتمكن من أغراضه.

وكل مجتمع اتحد, فالله تعالى معه بقدرته وتأييده, قال الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [(2)] وكيف يفشل المسلمون وهم ينتظرون من الله إحدى الحسنيين؟! النصر والتمكين في الأرض بالحق والفوز برضوان الله الأكبريوم العرض, أو الشهادة وهي بغية المؤمنين.

---

(1) سورة الأنفال آية 46.

(2) سورة البقرة آية 249.

هـذا وإن الاتحـاد نصـرة مـن الله تعـالى لمـن تمسـكوا بـه ولـو كـانواعزلا مـن السلاح, خلوا من الآلات, فعلى القائمين بطلب حق أن يتحدوا موقنين بالنصرة من الله تعالى, ويحذروا من التفرقة. والاتحاد المقصود في هذه الآية هو التشبه برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه من إخلاص العمل لله وبذل المجهود في نيل المقصود. وإن من التفرقة ما يشتغل به بعض من لم تتجمل نفوسهم باليقين من البحث عن علم ما قدره الله تعالى, فإن ذلك مع أنه مستور عن النفوس الكاملة خفي عن العقول, فإن البحث عنه باب من أبواب التفرقة, وكيف لا ؟ وطالب الحق ينبغي أن يثبت على طلبه, حتى يظفر به أو يفوز بالشهادة في سبيله, ولو كوشف الإنسان بعدم نيل الحق لترك طلبه, فإن المطالبة بالحق واجب على كل إنسان يأثم بتركها, ولا يعذر إلا إذا بذل كل ما في وسعه, فإن كوشف بعدم فوزه وترك الطلب, عذب يوم القيامة على ترك المطالبة بالحق, ومن طالب بالحق بعد علمه بنيله, لا أجر له يوم القيامة, لأنَّا إنما نطالب بالحق لأنه حق, فإذا قدر الله لنا نيل الحق فخير عجله الله لنا, وإن قضى واحد منا نحبه في طلب الحق فاز بالحسنى الباقية والخير الأبدى.

خامسا: أن يتحلى المجاهدون بالصبر

والصبر: حبس النفس عن الجزع عند مقتضاه في إعلاء كلمة الله تعالى, ولا يحسن الصبر عن إحياء السنة وإعلاء الكلمة, كما لا يحسن الجزع في الشدائد عند إعلاء كلمة الله ودفع الظالم والتظالم.

ولما كان الصبر محبوباً لله تعالى, والمتصف به عند مقتضاه حبيب الله تعالى, بشره الله سبحانه وتعالى بأنه معه, لأن الله تعالى صبوريحب كل صبور, ولا شرف أعلى من شرف الصابرين, لأنهم فازوا بمعية الله تعالى, وكل ثمن يدفع في هذا الشرف قليل.

والحمد لله قد سرت ريح النصرة فأحيت أشلاء رميمة, وجمعت قلوباً متفرقة, ونشطت أبدانا بطيئة, ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها, والله ولى التوفيق.

الباب الرابع
موجبات النصر

أولا: الصبر [1]

نصر الله مشروط بالصبر لأمره به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].

ومعنى الصبر أن يكون تحملا للأذى والشدائد كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ ﴾ [3] سبب نزول هذه الآية : أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ وآله﴾ وأصحابه لما هاجروا إلى المدينة عاداهم اليهود وكانوا قد خرجوا بعد ترك أموالهم وبيوتهم في مكة، فأصابهم في المدينة شدة. ثم حصل بعد ذلك واقعة بدر فأحد فالخندق, وكان في أحد مالا يطاق من الشدة فأنزل الله تعالى: ﴿وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [4] وقد نال هؤلاء من الشدة والبلاء في الدعوة إلى الحق والعمل به بين أعداء الله ما تنوء به الجبال، وأنتم أقمتم هذا المقام، هل ترضون أو تصبرون على ما يصيبكم مما أصابهم وأكثر ؟. وتلك الآية مدنية, فالله تعالى يخاطب رسول الله ﴿ﷺ﴾ وآله﴾, ويخاطب الأمة جمعاء إلى يوم القيامة فيقول بعد ما تقدم من الآيات ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ أى ظننتم ﴿أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ﴾ التى أعددتها لأحبابى وأوليائى وأنتم في راحة من أعدائى﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾ أى: يأتكم من البلاء والشدة شبه الذى جاءهم

---

(1) راجع مجلة المدينة المنورة العدد 33 السنة التاسعة.

(2) سورة آل عمران آية 200.

(3) سورة البقرة آية 214.

(4) سورة البقرة آية 213.

من تسليط أعداء الله عليهم وأذيتهم. وفصَّل ما أجمله في قوله: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ فقال.

سبحانه: ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ﴾ فالبأساء كل بلاء في مال أو تسليط من ظالم أو تضييق من عدوقاهر, والضراء كل ما ألم بالجسم من مرض وآلام من الحروب ومعنى زُلْزِلُوا, أى: أهينوا بانتقالهم من مكان إلى مكان آخر, لأن زلزل مأخوذة من زال فإذا كثرت الإزالة قيل: زلزل. ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ بعد أن بين سبحانه الشدائد التى قد يطيقها أهل اليقين الكامل ذكر النهاية العظمى في الشدائد فقال : ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾ ورواية نافع برفع اللام وغيره يرويها بنصب اللام,وإلى هذه الغاية تنتهى الشدة, فإن الحالة إذا بلغت إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام يضجر ويقول : ﴿مَتَى نَصْرُ اللّهِ﴾، تكون قد تجاوزت الحد الذى تطيقه نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ومن علم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يشكوا في تحقق النصر من الله, وإنما كان الاستفهام عن زمان قرب أوبعد, وكذلك من يكونون معه من أهل الإيمان الكامل فإنهم جميعاً لم يشكوا في أن الله وعدهم النصر وهو سبحانه ناصرهم, وليس لأحد أن يسأل كيف يبلغ بالرسول أن يضجر فيقول: ﴿مَتَى نَصْرُ اللّهِ﴾ ؟ لأن الرسول عبد من عبيد الله تجوزعليه أعراض البشرية وله مقدار من الصبر والرضا خصوصاً في مقام اليقين بتأييد الله له.وفى قوله تعالى:﴿مَتَى نَصْرُ اللّهِ﴾ إظهار كمال العبودية والعجز أمام الله تعالى – خصوصاً في مقام نصر الله تعالى وإعلاء كلمته والالتجاء إلى الله تعالى عند الشدة – عبادة لله، وتبرئة العبد من الحول والقوة إلا به سبحانه.

والواجب على كل مؤمن أن يتأدب بآداب أصحابه ﴿ﷺ وآله﴾ ويلتجئ إلى الله عند كل شدة, ويضرع إليه سبحانه عند كل خطب.

﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ ابتدأ الآية بألا, لتصغى قلوبهم إلى ما بعدها, ثم أتى بحرف التوكيد لتطمئن قلوبهم, ثم قال: ﴿نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ ليشرح صدورهم

ويؤانسهم بسرعة إغاثته لهم, وجائز أن يكون الذين قالوا أصحاب الرسول ﴿ﷺ وآله﴾, فأجابهم بقوله: ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ وسياق الآية يدل على أن هذه الكلمة كلمة الله تعالى, ومن هذا نعلم أن كل داع مضطر يجيبه الله تعالى, فمنهم من يسمع عن الله بما يرد عليه في قلبه من الطمأنينة, ومنهم من يدعو موقناً كأنه سمع. وسرعة الإجابة يقين الداعى أنه يسأل سميعاً قويا قادراً مجيبا.

ثانياً: المصابرة [1]

المصابرة وأنواعها:

المصابرة هى النوع الثانى من الصبر الذى اقتضته الحقيقة الإنسانية، التى خلقها الله تعالى مضطرة إلى المبادلة المقتضية للمعاملة والمفاضلة والمنازعة، فصابروا غيركم، والغير أنواع:

1 – إما مَنْ معه في المنزل من الوالدين والأقارب والأهل والأولاد، أو من معه من إخوانه المؤمنين في القرية أو المدينة, أو من معه من أهل ذمة الله ورسوله في محلته، أو المجتمع الإسلامى. ولهؤلاء مصابرة خاصة بينها الله تعالى في كتابه العزيز بيانا شافياً للعامة وللخاصة في قوله تعالى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [2]... الآية.

2 – وأما مصابرة الأعداء فتختلف باختلاف نوع العدو، فإن كان العدو الذى عاديته لنفسك من إخوتك، فيجب أن تتأدب بآداب الله تعالى في قوله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [3] وإن كنت عاديته في الله تعالى لبدعة أو لإظهار شر وفسوق، فتأدب بآداب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ في قوله : " الدين النصيحة " [4] والحديث مشهور.

---

(1) راجع مجلة السعادة الأبدية العدد الخامس السنة التاسعة ص 134.
(2) سورة الإسراء آية 23.
(3) سورة الكهف آية 28.
(4) رواه البخاري في التاريخ عن ثوبان البزار وعن ابن عمر.

وإن كان بغضك للقوم، لما تناله منهم من العناء والتعب في إصلاحهم فتدبر في قوله تعالى مثنيا على الأنصار : ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

---

(1) سورة الحشر آية 9.

3 – أما المصابرة مع أعداء الله وأعداء رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فقد بينها الله تعالى ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾ بياناً لا يحتاج إلى تأويل وتفسير، قال تعالى : ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [1]، وقال سبحانه : ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [3]، وقال سبحانه : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَاأَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [4].

ومصابرة هؤلاء يجب أن تراعى فيها الحكمة التى لاتخرج المسلم عن الإسلام,ولا توقعه في الحرج المضربالأمة، والواجب على المسلم في مثل هذا العصر أن يرجع إلى أحكام الله تعالى إلا إذا اقتضى الحكم الشرعى أن تبذل النفوس والنفائس، فلا تتقى لديها منهم تقاة، بدليل قوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ﴾ [5]. والواجب على المسلمين في وقت المصابرة أن يكونوا يداً واحدة على من صابروه من أميرهم لحقيرهم، خوفاً من أن تفتح التفرقة باباً يدخل منه العدو على جماعتهم، ولكنى لا أقول إن إبداء الرأى من أهله والاختلاف في الوسائل الموصلة إلى الغرض من التفرقة، ولكنى أحب أن تكون الآراء لبيان الوسيلة التى بها نيل المقصد، وأن تكون على بساط الأنس والصفا، وأن يقبل الرئيس الرأى من أحقر المرءوسين، فإنما هى نعمة من الله تنال بإلهام منه سبحانه، فقد ينطق عن الهوى من لا خبرة لهم بما هو خير.

---

(1) سورة هود آية 113.

(2) سورة آل عمران آية 28.

(3) سورة الممتحنة آية 1.

(4) سورة المائدة آية 52.

(5) سورة آل عمران آية 28.

وقد أمر الله المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى بالمشورة، وقد أمر ﴿ﷺ وآله﴾ في غزوة بدر بالنزول في مكان وقام إلى غيره برأى رجل من الأنصار، وأحب أن يقاتل قريشاً في واقعة أحد بالمدينة، وخرج بمشورة أحد الأنصار، وهو من تعلم جلالة وقدراً ﴿ﷺ وآله﴾، وقبل مشورة أبى بكرفى أسرى بدر. فالواجب على المسلمين عند مصابرة العدو أن ينسى الرئيس رئاسته والحقير ذلته، ويتمثلون أنهم جسد واحد، كل واحد منهم عضو مسارع لخير الجسد وحفظه ونصرة الله ورسوله، وعلى كل مسلم ألا يذعن إلا بعد أن تقوم الحجة.

وتتضح المحجة، ويقوم مجاهداً لا مقلداً، عاملا من عمال الله لا ذيلا، ويكون الرئيس في هذا الوقت، هو كتاب الله وسنة رسوله كما قال ﴿ﷺ وآله﴾ : << المسلمون متكافئون.. >> الحديث.

ومتى صابر المسلمون أعداء الله تعالى منحهم الله جميعاً الخير، إما بالشهادة والسعادة في الآخرة, وإمابالتمكين في الأرض بالحق والعلوفيها بعونه سبحانه وتعالى, والأجر العظيم يوم القيامة.

وفى تحقيق نيل تلك الخيرات، تتضاءل في نظره ملاذ تلك الحياة، وهذا أمير المؤمنين عمربن الخطاب رضىالله عنه يقول: << إن رأيتم في اعوجاجافقوموه >> فقام شاب صغير فقال : يا أميرالمؤمنين، والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا. وقد خطأته امرأة وهو على المنبر, فنادى بأعلى صوته : << أخطأ عمر وأصابت امرأة >> ولم تأخذه العزة بالإثم وهذا هو الصبر الحقيقى والتصابر. وكل مسلم يحب السيادة والنباهة في المجتمع وحسن الأحدوثة – فتسلب الرحمة من قلبه ويعادى إخوانه الذين هم أعضاؤه – مخطئ وإن أصاب ومسئ وإن أحسن ومضروإن نفع. والخطأ في المصابرة شر عام بخلاف الخطأ في الصبر.

ثالثاً : المرابطة [1]

مواطن المرابطة :

الربط : معلوم لغة وهو حبس الحيوان لتوقى شره أو لنفعه أو لاستعداده للعمل. والمرابطة في الحقيقة الشرعية : ربط الخيل على الثغور تجاه العدو الذى أعد العدة لمهاجمة محلة المسلمين، وهى فرض كفاية على المسلمين، وتتعين على كل مسلم في موطنين :

1 – إذا احتل العدو بلاد الإسلام، تعينت على كل مطيق.

2 – إذا عينها الإمام الأعظم خليفة المسلمين على فئة من المسلمين تعينت عليهم شرعا.

قال رسول الله (ﷺ وآله): <<كلُّ واحدٍ مِن المسْلِمينَ عَلى ثَغْرٍ من ثُغُورِ الإسْلاَمِ فَإِذَا تهاونَ إِخْوَانُكَ فَاشْدُدْ لِئَلا يُؤْتَى الإِسْلاَمُ مِن قِبَلِكَ >>.

آداب المرابطة :

1 – أن يكون المرابط على يقين من حقارة الدنيا وفنائها، وجمال الآخرة وبقائها، حتى لا يخدعه العدو بآمال أو بمال، فيسارع إليه فيهلك الحرث والنسل.

2 – أن يكون ما عند الله أحب إليه من الأرض وما فيها ومن فيها.

3 – أن يكون ذا غيرة على الحق ونصرة له.

4 – أن يكون عالماً بقدر الحياة الإنسانية في الحرية والإرادة، وبقدرها في الذلة والاستبداد، فيحب لنفسه ولقومه أن يكونوا أعزة أحراراً مريدين، لا يتسلط

---

(1) راجع مجلة السعادة الأبدية العدد الخامس السنة التاسعة ص 137.

عليهم عدو لدينهم ولا لمذهبهم ورأيهم الحق، فيمحق الآداب القومية، ويطفئ نور الحق ويستعبده.

5 – أن يتلذذ بالموت ويراه خيراً من الإقامة في دار الذل والاستعباد، خصوصاً إذا كمل إيمانه وتيقن أنه بالموت يفوز بالملك الكبير، وبالجوار مع الأطهار والأخيار في معية الصديقين والشهداء والصالحين.

نتائج مرابطة أهل الجهالة :

أما المرابطة من أهل الجهالة بتلك الآداب – ولو كان قائد القوة – ربما نزعت نفسه إلى حب العاجلة، فخدعه الأمل من العدو أو أذلته العطية، فمكن العدو من نفسه ومن قومه، ولذلك فيجب على الأمة أن تكون هى الحكومة، وأن تنتقى رجالا حكماء علماء فطناء فتقيمهم قادة لها، وإنما الأمة هيئات، هيئة حاكمة وهيئة محكومة، والهيئة الحاكمة هم خدم للهيئة المحكومة، فإذا جهلت الهيئة المحكومة قدرها من أن الهيئة الحاكمة خدم لها وصموا بالذل، وجهلوا مقدارهم الحقيقى، من أنه ليس فوقهم إلا الله، ورضوا بأن يكونوا عبيداً للعبيد فساموهم الذل والخسف.

وإذا كانت الأمة المحكومة هى الحاكمة، كانت الأمة هى العائلة التى رئيسها والد حكيم وأفرادها أبناء بررة, يسعى كل فرد منها للنفع العام والخيرالحقيقى. ومتى كان الرئيس عدوا للأمة والأمة عدوة له، ساء حاله ومآله.

لا تعجب فإن القوة التى ينفذ الرئيس بها أغراضه على الأمة، هم أفراد من الأمة، وإلا فمتى رأيت يداً تضرب الأخرى ؟.

وأمة تكون هيئة الحكومة عاملة على إذلالها ساعية في سلب حريتها واستقلالها، هم بالحيوانات الداجنة أشبه، بل الحيوانات الداجنة أرقى منهم وأعلى، فإن الدجاجة — وهى دجاجة – إذا رأت وحشاً كاسراً يهم أن يفترس فراخها حاربته

حتى تموت مدافعة عن فراخها، فكيف ينهزم الإنسان أمام إنسان راضياً بالذل والهوان ؟ أم كيف للمؤمن أن يخضع لغير القرآن ؟ بل كيف يكون النصر من غير الله بالتحيز إلى الأعداء ؟.

المرابطة الحقة هى التى على ثغور الإسلام :

لا تكون المرابطة مرابطة حقا إلاعلى ثغور الإسلام، لا على ثغور الأوطان، والإسلام وطننا كما بينت في كتاب : (الإسلام وطن) ونسبنا كما بينت ذلك في كتاب : (الإسلام نسب) كما أنه ديننا، فمن جعل له وطناً غير الإسلام، ونسباً غير الإسلام، كان كمن رضى بدين غير دين الإسلام.

نحن نرابط على ثغور الإسلام ننتظر من الله الحسنيين أو الحسنى الدائمة، فإن نصرنا الله في الدنيا فزنا بها، وإن استشهدنا على ثغور الإسلام، تلقتنا ملائكة الرحمة حتى نواجه ربنا راضيا عنا، وحبيبنا فرحا بنا ﴿ﷺ وآله﴾، ولا نرابط على ثغور الأوطان نسيانا للقرآن.

هل حالتنا الحاضرة وأعمالنا مرابطة على ثغور الإسلام ؟ : [1]

يقول رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيات وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِىء مَا نَوىَ، فَمن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمن كانَتْ هِجْرَتُه لِدُنيا يُصيبُهَا أَو امْرَأةٍ يَنكِحُها، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " [2]. وإنى أعتقد أن السواد الأعظم من المسلمين الآن هم من المرابطين، لأن تلك اليقظة القلبية لم يدع إليها إلا وجدان الدين، والرغبة في نيل الفوز يوم القيامة، ولكن الزعماء هم المسئولون

(1) هذا السؤال وجهه للإمام أبي العزائم المرحوم المربي الكبير الحاج حسن القليني ﷺ أحد أقطاب طريق آل العزائم.

(2) رواه أبو داود والترمزي والنسائي وابن ماجه.

بحسب نواياهم. وإني أحب أن يكون لكل مسلم نية خاصة في عمله وعمل خاص في شأنه، وعلى كل حال فإن تلك النهضة مدرسة ابتدائية تجعل النفوس تتمرن على طلب الحقوق، حتى يظهر الحق الأول ﷻ، وتشرق أنواره على النفوس، فتنمحى تلك النوايا والقصود التى لا ترضى الله، وترخص النفوس والفلوس في نظر المسلم في سبيل الله وإعلاء كلمة الله، قال بعض العلماء : " الرياء قنطرة العمل "، " والبركة في الحركة "، " واليقظة خير من النوم "، وقد طالت رقدة الغفلة ونومة الجهالة على الأمة، ونحن نشكر الله تعالى الذى أيقظ قلوب المجتمع الإسلامى،ومنحه الشعور بما كان لسلفه الصالح من العزة والحرية المطلقة، ونتحقق أن المسلمين مانالوا هذا المجد إلا باتباع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾. ونحن إنما ننال هذا المجد بما ناله سلفنا من قبل، وهو اتباعنا لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وعملنا بوصاياه، ومن جهل تلك الحقيقة طلب المجد من جهة لا يناله بها.

ما هى أنواع المرابطة ؟ :

لما كانت المرابطة حبس الحيوانات، فقد يراد بها حبس النفس عن النزوع إلى ما يهلكها فمن حافظ على الصلوات الخمس فهو مرابط، ومن حفظ جوارحه من التوسع في المباحات خوفا من الوقوع في الشبهات فهو مرابط، ومن حفظ قلبه من الخواطر والواردات التى تحجبه عن الله فهو مرابط، وأعظم المرابطة طلب العلم مع الصبر على الشدائد والبلايا، ولكن أى علم وممن يتلقاه ؟.

أما العلم : فالعلم الذى فرضه الله علينا وفرضه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، قال ﴿ﷺ وآله﴾ : " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ " [1] والعلم المفروض علينا : العلم بالله وبأيام الله وبأحكام الله وبحكمة أحكامه، وبأنفسنا. وما عداه مما

(1) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان.

به نيل الدنيا والسيادة والشهرة، فليس هذا بفريضة على المسلم إنما هو حجاب يقطعه عن الله، وحسب المسلم أن يتعلم حرفة يحفظ بها نفسه من سؤاله للغير، ويحفظ بها بقية أنفاسه فيما ينال به الفوز بالعلم بالله تعالى وبأحكامه ونفسه، ليكون مع الله ويكون الله معه.

وهناك صناعات تفرض على المجتمع، وهى مايحصل بها الضرورى للإنسان, وما أمر الله تعالى به في قوله : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [1] وإذا أهمل المسلمون جميعاً هذه الصناعات - كصناعة الآلات الحربية وما يلزم المجتمع الإسلامى - عاقبهم الله جميعاً على هذا الإهمال، وقد رويت أحاديث كثيرة تدل على أن المسلم يجب أن يكون مرابطا دائما، إما في دين، أو في دنيا لمن أوجب الله عليه السعى عليهم، أو دفع العدو والتحفظ منه، لأنه مقيد بأحكام الله تعالى، وما من حركة إلا وعلى المسلم واجب فيها.

الثغور التى يجب أن توصد في وجه العدو وتحصن بأمنع الحصون :

قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : "كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ المسْلِمينَ عَلى ثَغْرٍ مِن ثُغُورِ الإِسْلامِ فَإن تَرَكَ المسْلِمُونَ فَاشْدُدْ لِئَلا يؤْتَى الإِسْلاَمُ مِن قبلِكَ ". إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان حرا كريماً, ومنحه سبحانه وتعالى العقل، وبين له سبيل نجاته وهاوية هلاكه، وأمره ونهاه وقدر في أزله سبحانه وتعالى أن يخلق بنى الإنسان مختلفين حتى يظهر سر المنعم، الحكم العدل، لأنه سبحانه وتعالى لو قهرهم على توحيده، وقدر عذاب بعضهم لكان ظلماً، ولو قهرهم على الكفر به سبحانه، وقدر نعيم بعضهم لخالف ذلك الحكمة والعدل، وهو الحكم العدل ذو الفضل العظيم، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ۝ إِلاَّ

(1) سورة الأنفال آية 60.

مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[1] واختلاف الخلق لحكمة عالية هى ظهور الفضل والعدل، لذلك سلط سبحانه أهل الباطل على أهل الحق، وأمر ﷻ بالتحفظ من أهل الباطل ومجاهدتهم ابتلاء منه سبحانه للفريقين، حتى يتجلى فضله على عباده الذين وفقهم وأعانهم، وعدله فيمن خالف وأبى.

ولما كانت الحقائق التى ركب منها الإنسان لا تقتضى بذاتها الإقبال على الحق والإسراع إلى ماعنده لميولها إلى الفطرالحيوانية والمفاسد الإبليسية بطبيعتها، لذلك كان إقباله على الله وقبوله للهدى والنور بعناية من الله زائدة على حقيقته، وليس العجب أن ترى الإنسان مسارعاً إلى ما يوبقه في نارجهنم، ويلبسه الخزى والعار في الدنيا من الشرك بالله ومخالفة وصايا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، والتهاون بأحكام الله تعالى، والتدنس بالرذائل الأخلاقية، من ضعف الهمة حتى يبلغ منزلة الذل من خوف الذل، ودرجة الموت من خوف الموت، وحالة الفقر من خوف الفقر، فيعيش أضل من الحيوان وأخبث من الشيطان، فرحاً بما ناله من لذة أو جاه أو مال، لعمى عيون بصيرته عن الخير الحقيقى الذى يناله أهل الهمم العلية في الدنيا والفوز العظيم في الآخرة، ولو فكر الإنسان لاستبان له الخير وطريقه فسارع إليه، ولظهر له الشر ومدارجه فتباعد عنه، ولو كان في بعده عنه جوع بطنه وعرى جسده، وآلام جوارحه، لأن بهجته باللذة الروحانية، وأنس ضميره نصيره على المجاهدة في سبيل الخير الحقيقى بنسيانه كل ألم وشدة، كيف لا؟ وإن صاحب الدمل ليتلذذ بتمزيق جلده بالمشرط يلتمس في الطبيب أن يستأصل الأجسام الغريبة من جسمه مع فادح الألم، لاعتقاده نيل الراحة والحياة الطبيعية بعد تلك المجاهدات الشاقة.

---

(1) سورة هود آية 118 - 119.

ولما كان كلام رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يجب أن يتلقى بآذان القلوب، حتى تفقه من أسراره ما هي مؤهلة له بقدرها، لزم أن نتلقاه بتسليم، ونستمد من روحانيته ﴿ﷺ وآله﴾ أنوار بيانه وفقهه.

ويظهر – والله أعلم – أن الإسلام هنا مقول على حقائق كثيرة : منها أحكامه، ومنها جماعة المسلمين، ومنها كل أرض تقل المسلمين وأهل ذمة الله ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾. ثم خص ﴿ﷺ وآله﴾ المسلمين لأنهم مكلفون بأحكام الله، ثم خاطب كل فرد منهم، ليبين ﴿ﷺ وآله﴾ أن الرجل الواحد من المسلمين هو كأمة عظيمة، وأنه ما خلق إنسان وهداه الله للحق إلا وأقامه سبحانه وتعالى عاملا مخلصاً، ممثلا لرسول من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

أولا : ثغور الإسلام من ناحية الأحكام :

إذا فسر الإسلام بالأحكام كانت ثغوره :

(1) حفظ كلام الله تعالى. (2) تفسير آياته المقدسة. (3) الأحكام الشرعية. (4) الجهاد في سبيل الله.

(5) تنفيذ الأحكام الشرعية. (6) الدعوة والإرشاد.

(7) الإمامة العظمى.

(8) الإمامة الخاصة في المساجد والخطب في الجمع وغيرها.

(9) التمسك بعلوم اليقين.

(10) الإقبال على الله فراراً مما يشغل عنه بالشوق والنسك والزهد.

هذه هى الثغور وعلى كل ثغر واحد أو جماعة من المسلمين يحافظون على هذا الثغر بالنفس والنفائس ابتغاء لوجه الله الكريم، ورغبة في نيل رضوانه الأكبرفى جوار أولياء الله الأطهار.

ثانيا : ثغور الإسلام من ناحية المجتمع الإسلامى

وإن فسرنا الإسلام بالمجتمع الإسلامى كانت ثغوره :

(1) رحمة الكبير للصغير وتعظيم الصغير للكبير.

(2) حب كل مسلم لكل مسلم ما يحبه لنفسه.

(3) معاملة أهل ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﴿ﷺ وآله﴾ بما يعامل به نفسه.

(4) نصرة الأخ ظالماً أو مظلوماً, فيمنع عنه الظلم بالقوة ويمنعه من الظلم بالنصيحة.

(5) جلب الخير ودفع الضر ابتغاء مرضاة الله تعالى وإحياء لشعائر الإسلام.

(6) النصيحة لله ولرسوله ﴿ﷺ وآله﴾ ولخاصة المسلمين وعامتهم وأهل ذمة الله ورسوله.

(7) بذل المجهود في اختراع ما به راحة المجتمع حتى تكون الأمة مهيبة آمنة.

(8) جلب ما لابد منه مما هو غير ميسور لدى الأمة راحة للمجتمع.

(9)تصريف مالا حاجة إليه من محصولات الأمة لتنمو الخيرات ويحصل الغنى، والعمل بالإخلاص بعد الراحة من عناء الشغل بالضروريات لتوفير ما لابد منه.

(10)المسارعة إلى فتح كنوز الأرض حتى تنتفع الأمة بما خزنه الله لها من الخيرات في الأرض.

(11)قيام رجال منحهم الله الرحمة والشفقة بتحصيل ما به حفظ الصحة على أهلها وإعادتهاعند فقدها,حتى تكون الأمة آمنةعلى صحتها لوجود أفراد منها يقومون لها بتلك المهمة التى هى من أعظم القصود الدنيوية.

وهنالك ثغور أخرى تُعلم ولا تُجهل، وثغور أخرى تلقى من أفواه أهل العلم بالله تعالى لآذان الراغبين في نيل الكمال، وتلك الثغور يجب أن يكون على كل ثغر منها واحد أو جماعة من المسلمين.

ثالثا : ثغور الإسلام من ناحية البلاد الإسلامية :

وإن فسرنا الإسلام بالبلاد الإسلامية، فهذا هو الأمر المهم الجامع المانع، الذى به نيل السعادة والمجد والعزة في الدنيا والآخرة، وثغوره لا تخفى على ذى بصيرة وهى حسية ومعنوية:

أ – ثغوره الحسية :

فثغوره الحسية فُرَجُه (أى : مفازاته) أو أبوابه المقابلة للأعداء، وعوراته التى يتمكن الأعداء بسببها, وتلك الثغور الحسية فرض الله تعالى المرابطة عليها فرض كفاية، متى قام بها البعض سقطت عن البقية وتتعين على كل مسلم إذا أهملت، وإذا

فاجأ العدو أرض المسلمين تعينت المدافعة عنها، وتجب كذلك بتعيين الإمام الأعظم، وبإهمالها ضياع خير الدين والدنيا والآخرة.

أما خير الدين فبالتهاون بأحكامه والعمل بغيره. وأما خير الدنيا فبانتقال الفنون والصناعات والحرف والأعمال والرئاسات والتجارات لغير أفراد الأمة، وهى موارد الثروة والترف، فتصبح الأمة وقد أفسدت الحاجة أخلاقها، والذلة آدابها، والمخاوف وتقليد المتسلطين عوائدها, فتبوءالأمة بخسران الخيرات والآداب والأخلاق والثروةوالعزة والحرية والإرادة، بسبب إهمال فرد من أفرادها لثغرها الذى هو عليه، إما لجهالته أو لشرهه وطمعه، فيضيع مجداً عظيماً وخيراً عاما لمال يقتنيه، أو لسيادة يبتغيها، أو لأصل كاذب يدعيه، ومثل هذا يبوء بالخزى والعار، وسوء الأحدوثة في الدنيا، والنار بعد موته. ولو تدبرهذا الغرفيما يجره من الخيبة والوبال على نفسه وقومه, لتمنى أن يحترق بالنارولا يعمل هذا العمل، أو يتمزق جسمه بالمقذوفات ولا يهمل في ثغره، وتلك الثغور هى التى يجب أن توصد (تسد) في وجه كل مناوئ، وتحصن بأمنع الحصون، وأقوى الرجال أهل التقوى والغيرة, ويجب أن يكون القائمون بهامن العالمين بمقدارما ينالون من الشرف والمجد والرفعة في الدنيا, ومجاورة الأطهارفى مقعد صدق عند مليك مقتدر, فإنهم أمناء الأمة على خيرهاالدنيوى والدينى والأخروى, بل وعلى حياتهاالسعيدة في ظل الحريةوالأمن والإرادة. جعل ﴿ﷺ وآله﴾ كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام، ليبين لكل فرد مقداره المعنوى في تلك الدار الدنيا، لتعظم الهمم ولتكبر النفوس، وليعلم كل مسلم أنه قائم مقام رسول من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وأنه عامل من عمال الله عملا لا يقوم به المقربون من ملائكة الله، فيكون لكل مسلم عند الله تعالى مقام فوق ملائكة الله تعالى، فيحصل لكل مسلم نشوة من تناول هذا الطهور المقدس تجعله مسارعاًإلى الخير بكله نشيطاً شجاعاً كريماً، متمثلا مقدار منزلته عند الله تعالى بإقامته في حفظ ثغور المسلمين،

فكل مسلم مطالب أن يجعل له وقتاً يفكر فيه في دوام حفظ هذه الثغور، في إبداء فكرة، أو إحداث مخترعات، أو بذل مال، أو تنبيه إلى ذلك حتى يكون من عمال الله تعالى في أرض الله، وممن جعلهم الله أبدال رسله.

ب – ثغوره المعنوية :

أما الثغور المعنوية فهى :

(1) يقظة القلب لإقامة حدود الله.

(2) الغلظة في دفع المظالم وكبح جماح الظالم.

(3) السهر في مراقبة شئون المجتمع لئلا يدخل عدو عليهم، فيفرق جماعتهم، ويفسد آراءهم، ويحقر أمامهم فضائلهم.

(4) الجد ببذل ما في الوسع في رعاية أحوال المجتمع، خوفاً من مخادع يندس بين المسلمين فيفسد ذات بينهم، أو يفسد بين العامة والخاصة لفك عروة الإخاء وتعكير الصفاء.

(5) المسارعة إلى رعاية العدل بالإحسان إلى المحسنين والإساءة إلى المسيئين، مع الاحتياط من أن يحسن إلى قوم مع حرمان أحدهم من الإحسان، أو الإساءة إلى قوم والعفو عن بعضهم.

(6) تقبيح كل عمل أو عادة أو هيئة مما لا يستحسنه الدين، أو تؤدى إلى إسراف أو ضياع فضائل الأمة وأخلاقها، حتى يتنبه الغافل ويستيقظ النائم، فإن معظم النار من مستصغر الشرر.

(7) تعضيد كل من قام بعمل خير، أو يقول خيراً، أو دل على خير مهما كانت منزلته في الأمة, لتتنافس الأمة في الفضائل، ويقتدى بعضها ببعض في الخيرات.

(8) تغذية الأبناء بلبان الشجاعة الأدبية, والآداب الشرعية, والأخلاق المرضية, ومجازاتهم على الحسن من الأعمال بالمدح والثناء, حتى يسارعوا إليها, وتأديبهم على القبيح منها بأسلوب الحكيم، وبيان مضرته وسوء عاقبته, حتى يكرهوه, فيشبوا على أحسن الأحوال رحمة وعزة نفس، ومسارعة إلى النافع وعملا للخير، لأنهم أمة المستقبل.

وهذه نماذج الثغور المعنوية، كل ثغر منها عليه رجل من المسلمين، أو امرأة أو رجال ونساء كل بقدر قسطه. وأهم الثغور المعنوية : العناية الكبرى بتربية النشء حتى يسروا سلفهم الصالح بحفظ آثارهم، ووالديهم بتيسير الخير لهم وحفظ شرفهم، والمجتمع أجمع بالقيام بحفظه وجلب الخير له، ودفع الضر عنه، ورجال المستقبل بما يبقونه لهم من جميل الآثار، وجليل الأعمال، فيقتدون بهم وينافسون في فضائلهم. وإهمال تربية النشء بتسليمهم إلى من لا يحسن التربية علماً وعملا وأدباً وأخلاقاً ومعاملة، أو إلى من يسره بقاؤهم في الحضيض الأسفل خوفاً من مزاحمته فيما اغتصبه منهم، أو مساواته فيما امتاز به عنهم, فقد سعى في هلاك الأمة ومحو آثارها الجميلة دنيا وديناً, وكيف يأمن الرجل على ابنه الذى هو حقيقته في حياته، وصورته الباقية بعد مماته، وخليفته على أقاربه، وذكره الخالد له، فيسلمه بيده ليعلمه أعداء نعمته، وحساد مجده والساعون في سلب سيادته وعزته، ويعتقد بعد ذلك أن ينال خيراً ؟! اللهم رحماك بأمة باعت مجداً يدوم وخيراً يبقى بأبخس الأثمان. ومن تساهل فأضاع، يجب أن ينبه ليسارع إلى رد ما أضاع أو يفتح الباب لغيره والله ولى المتقين.

رابعا : تقوى الله [1]

تقوى الله والعمل بالسنة :

إن هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، وإنما كان إصلاح أولها بتقوى الله تعالى, والعمل بسنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ والمسارعة إلى فضائل الأعمال وجميل الأخلاق وأحسن المعاملات, وحزب معه الله منصور ولا شك، ومجتمع يتوسل بما كان عليه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه مؤيد ظافر، والأمر سهل ميسر، لو تبصر الإنسان، ومن قام للحق ليظهره أظهره الله تعالى، ومن طالب بحق هو له ابتغاء مرضاة الله تعالى فاز بما يقصد، فنال خيرى الدنيا والآخرة، ومن علم أنه مسئول أمام سلفه ليحفظ آثارهم، وأمام أهل عصره ليقتدوا به، وأمام رجال المستقبل ليتشبهوا به، ويحيا بينهم بلسان الصدق والثناء، استرخص كل غال في سبيل نيل هذا الخير العظيم.

---

(1) راجع مجلة السعادة الأبدية السنة السابعة العدد 7 ص 206

الباب الخامس
حياة الشهداء [1]

وصف الله الشهداء في محكم آياته بقوله: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ [2].

الفرق بين لفظ السبيل مفردا وجمعا :

وقد جاء لفظ السبيل في القرآن مفرداً وجمعاً, فجاء مفرداً في قوله تعالى: ﴿فِي سَبيلِ اللهِ﴾ [3] وفي قوله : ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ [4] : وفي قوله سبحانه : ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [5] وجاء جمعاً في قوله سبحانه :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [6] ومعناه في الجمع, جهاد النفس والنفس قد تجاهد لمحو الرذائل وللتجمل بالفضائل، وتجاهد لتنطبع على الطاعة مخالفة لفطرها المهملة وحظها وهواها، وقد تجاهد لترغب في تحصيل العلم، وفي صحبة الأخيار، ومجالسة الأبرار، وقد تجاهد لتتشبه برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، أو للتخلق بأخلاق الله تعالى، وغير ذلك مما لا يسعه هذا الكتاب، لأننا لا نحب الإطالة على طلبة العلم، ولذلك أتى لفظ السبيل جمعا. وفي إفراده كما بينت لك في الآيات السابقة هو : جهاد العدو الداخل حتى تستعلى عليه بالآداب الشرعية، وذلك في ذات الله تعالى، ثم جهاد العدو الخارج، وذلك إما أن يجندل بين الصفين مقدماً نفسه، وهو المقصود في هذه الآية بقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللهِ

---

(1) راجع مجلة المدينة المنورة السنة التاسعة العدد 20.
(2) سورة البقرة آية 154. (3) سورة البقرة آية 154.
(4) سورة الفاتحة آية 6. (5) سورة الشورى آية 53.
(6) سورة العنكبوت آية 69.

أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ لأنه أقدم على القتل لا طمعاً في جنة، ولا خوفاً من نار، ولا رغبة فيما دونها، ولكنه أقدم ليلقى أعز الأحبة مُحَّمدا ﴿ﷺ وآله﴾ وحزبه، وهذا الذى نراه قتيلا بين الصفين لم يمت، ولكنه رفع إلى حظيرة القرب حيا يرزق، لا يمضى نفس من الأنفاس إلا وتتوالى عليه الخيرات المعنوية والحسية : أما الخيرات المعنوية، فإنه يكتب في صحيفته أعمال كل من هداهم الله تعالى على يده، وأعمال من اهتدوا بهداهم إلى يوم القيامة، وقد يكون في قبره وعشرات الملايين تعمل، فيكتب الله أعمالهم في صحيفته لا ينقص ذلك من أعمالهم شيئاً. قال ﴿ﷺ وآله﴾ : " مَن سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن غَيْرِ أن يُنقصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيء، وَمَن سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن غَيْرِ أن يُنقَصَ مِن أَوْزَارِهِم شَيء " [1] فذلك هو، وهم بتلك المثابة أحياء يرزقون خير الأرزاق من حيث لا يعلمون. وكم من رجال قتلوا في هذا السبيل ولهم أكبر قسط من عملنا وعلمنا, لأنهم قتلوا في إعلاء كلمة الله وإحياء سنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وهذه هى الشهادة الكبرى لأنه جاهد نفسه في ذات الله حتى أفلحت، ثم خرج فارا إلى الله تعالى حتى قتل بين الصفين. وقد ورد في الحديث الصحيح, أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسكن سدرة المنتهى, وورد أيضاً أنهم يكونون طيوراً خضراء, يسبحون في الجنة, يأوون إلى سدرة المنتهى, فهم في نعيم مقيم في الدنيا ومشاهدة الوجه العلى الجميل يوم القيامة, وورد أيضاً أن الله يفتح لهم وهم في قبورهم بابا يشهدون به أمكنتهم في الجنة, فيسألون الله السرعة, كما يفتح للمنافقين والكفار إلى النار فيتمنون تأخير وصولهم إليها.

أما الذين يرجعون إلى أهليهم من المجاهدين في الصف, فإنهم يرجعون بالنصرة والغنيمة والمغفرة, وأما الذين يموتون قبل الملحمة, فلهم رزقهم في البرزخ, لا

---

(1) رواه مسلم والنسائي.

كمن جندل في الصف, وإنما عين الله من قتل في هذا الموقف, وخصهم بهذا الفضل العظيم, لأنهم باعوا أنفسهم وأموالهم.

مقام العندية ومقام اللدنية:

وقد نهانا الله في هذه الآية أن نقول عنهم إنهم أموات, وأثبت لهم الحياة عند ربهم والعندية أعلى مقامات القرب لأهل اليقين الكامل من الأمة, وليس فوق هذا المقام إلا مقام رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وهو مقام اللدنية, قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[1], ومقام العندية فوق مقعد الصدق قرباً, لأن القوم رضى الله عنهم أعطوا الله الكل فأعطاهم سبحانه الكل, فكانوا في جوار عنده.

كيف يكون الشهداء أحياء بعد أن مزقت أشلاؤهم وعلاهم التراب ؟ :

أتى بهذه الآية الشريفة: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾[2] حفظاً لقلوب المؤمنين, وقصماً لظهور المنافقين, وكأن متردداً قال: كيف يكونون أحياء بعد أن مزقت أشلاؤهم وعلاهم التراب؟ فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ فمعنى ﴿تَشْعُرُونَ﴾ أى: ترون وتشهدون, لأن عيون الرؤوس وعيون العقول, لاتنكشف لها الغيوب المصونة, ولكنها تنكشف لعيون الأرواح من أحباب الله الذين هم عنده. فكم من أحياء يمشون على التراب وقلوبهم سابحة في ملكوت الله الأعلى, لم تحجبهم عن حبيبهم ضروريات الكون ولا كمالياته, لأن الحقائق انكشفت لهم فتحققوا أن ما فوق الأرض فان, بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[3] وتحققوا أن الكون من العرش إلى الفرش هالك لا

---

(1) سورة النمل آية 6.

(2) سورة البقرة آية 154.

(3) سورة الرحمن آية 26.

دوام له ولا بقاء، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] وقوم وقعت عيون بصائرهم على هذا الغيب المصون، يشهدون مقامات الذين قتلوا في سبيل الله. ومن كانت همته بطنه وفرجه فهو أضل من الأنعام, فكيف يشهد مقامات أهل الحُبِّ والعلم بالله تعالى ؟!.

(1) سورة القصص آية 88.

خاتمة

نصائح للمجاهدين قادة وجنوداً (1)

استخارة الله أولا, ومجاهدة النفس للإخلاص لله في العمل ثانياً, ونية الصدق في العمل والمعاملة ثالثاً, وتقدمة ذلك بدوام التبتل والتضرع إلى الله تعالى, وترتيل القرآن الشريف ودوام الذكر لله تعالى, ومدارسة سيرة الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه, وقد كتبت لك سيرته ﴿ﷺ وآله﴾ في كتاب خاص.

ثم وجود مجتمع فاضل من المسلمين منحهم الله تعالى موهبة الخطابة بأسلوب حكيم حتى يكونوا قوة معنوية للقلوب, وطهوراً صرفاً للأرواح, وغذاء مقويا للنفوس على ما هى موجهة وجهها شطره.

ويكون إمامهم في هذا, المشير بالجهاد أو السلم, أعلمهم بالله وأشوقهم إلى لقاء رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ومجاورته في فردوس الله الأعلى, مع إحاطته علماً يقيناً بقوة من يحارب وبمقدارالأمرالذى ينال بالمحاربة, وحال المدينةفى وقايتها وحصانتها وضعف أهلها وقوتهم. وأن يكون قد علم يقيناً تفصيل مغازى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾, ومغازى السلف الصالح والوجوه التى كانوا يلهمونها من الله تعالى للنصرة على العدو, بعلم الأحوال التى كان يستعمل فيها رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه وسلفنا الصالح الشدة نكاية بأعداء الله تعالى وزجراً لغيرهم, حتى يتعلم أنصار الله وأنصار رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ في كل زمان كيف ينهجون على سنن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ في الجهاد.

وقدمت لك الأحكام المتعلقة به مما فرضه الله تعالى وسنه رسوله ﴿ﷺ وآله﴾, وبالأخذ به مرضاة الله ومرضاة الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ وخير المجتمع الإنسانى.

---

(1) راجع مجلة المدينة المنورة السنة العاشرة العدد 5.

وإن تلك الضوابط كلها بمراعاتها تفتح أبواب الخير للقائم بهذا الشأن, حتى يلهمه الله تعالى ما به يحصل الظفر والنصر بمشيئة الله تعالى, أما ما يلهمه الله تعالى للإمام القائم بالجهاد في سبيل الله, من

انشراح الصدر بالإقدام, وتيسير القصود كلها للمسارعة إلى إحياء كلمة الله, وتفضل الله عليه وعلى إخوته المؤمنين بالعناية منه, فإنه لايسطرعلى صفحات الأوراق ولكن نكله إلى قلب الرجل المخلص لله في عمله, الصادق مع الله في معاملته, الذى أقبل بكله على الله, فإن لله تعالى نظرات ربانية وعواطف رحمانية وعنايات بأهل الإيمان بالله يتفضل بها عليهم, عندما يوجهون وجوههم لله مخلصين له الدين, قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [1].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ وآله﴾ يوماً فقال: " يَا غُلاَمِ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ... "[2] الحديث.

وكفى المؤمن شرفاً أنه إذا خرج مخلصاً صادقاً في معاملته فاز بإحدى الحسنيين أو بهما معاً, الفتح والغنيمة, أو الشهادة والفوز بجوار رسول الله ﷺ وآله﴾.

(1) سورة محمد آية 7.

(2) رواه الترمذي وقال حسن صحيح

قصائد في الجهاد

لخاتم الوراث المحمديين

الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم

قصـيدة:4*ٱلإِسْـلَامُ دِيـنُ ٱللَّهِ وَفِطْرَتُـهُ ٱلَّتِـي فَطَـرَ ٱلنَّـاسَ عَلَيْهَا*أبياتها:10وعجز

رويها:النون *يوم الأربعاء 2 المحرم 1353ه بالنزهة* بحرها:الكامل

قال [1] :

أَفْدِي بِرُوحِي ٱلدِّينَ بَلْ أَفْدِي ٱلسُّنَنْ		بِٱلْمَالِ قَدْ أَفْدِي ٱلْقَرَابَةَ وَٱلْوَطَنْ
أَرْضٌ بِهَا أُوجِدْتُ فَوْقَ مَكَانَتِي وَطَنِي		مِنْ دُونِهَا كَلْءُ ٱلْعَطَايَا وَٱلْمِنَنْ
ٱلْعَزِيزُ بِهِ أَمُوتُ فَتُأْوِنِي		أَرْضٌ بِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ لِيَ ٱلسَّكَنْ وَتُرَابُهَا
أَرْضٌ بِهَا أُنْسِي وَفِيهَا نِعْمَتِي		عِزٌّ وَلِي فِيهَا ٱلْحَسَنْ
وَطَنِي نَعَمْ أُمِّي أَبِي وَنَسِيمُهُ		رَوْحِي وَرَيْحَانِي بِهَاتِيكَ ٱلدِّمَنْ
ٱحْفَظْهُ تُحْفَظْ فِي سُرُورٍ فِي شِفًا وَطَنِي		ٱحْذَرْ تَرَىٰ فِيهِ ٱلْمَزَايَا وَٱلْمِنَنْ
وَمَا وَطَنِي سِوَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي ٱلإِسْلَامُ		فِيهَا وُلِدْتُ وَطِيبَهَا قَلْبِي فَطِنْ
دِينِي بَلْ هُوَ ٱلْوَطَنُ ٱلَّذِي أَحْيَا وَيَحْيَا		قَدْ جَاءَتِ ٱلآثَارُ فِيهِ وَٱلسُّنَنْ
ٱلدِّينُ وَٱلْوَطَنُ ٱلَّذِي وَٱلرَّبُّ وَطَنُ		فِيهِ أُصُولٌ وَٱلْفُرُوعُ لَهُ ٱلشَّجَنْ
ٱلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعِهِمْ		يَارَبِّ أَيِّدْنَا بِرُوحِكَ وَٱحْفَظَنْ

(1) بالنزهة في يوم الأربعاء 2 محرم سنة 1353 هجرية

	وَطَـنِي ٱلْعَزِيـزُ يَـدُومُ لِي فِيـهِ ٱلْمِـنَنْ

قصيدة:6 *ٱلنُّورُ ٱلْمُشْرِقُ لِبَيَانِ مُوجِبَاتِ ٱلنَّصْرِ* أبياتها: 26
رويها:النون *ليلة الاثنين 14 ربيع الآخر 1333هـ* بحرها:البسيط

قال [1] :

ٱللَّهُ أَكْبَـــــرُ آيُ ٱلـــــذِّكْرِ بُرْهَـــــانِي		◌ِ◌ِ◌ِ◌ِفِي ﴿كَـانَ حَقًّـا عَلَيْنَـا ﴾ سِـرُّ
		تِبْيَـــــــــــــــــــــــــانِي
أَيْـنَ ٱلطُّغَـاةُ ٱلأُلَىٰ رَامُـوا مُنَازَعَـةً قَـامُوا		لِلْحَـــقِّ فِي غَفْلَـــةٍ بِغُـــرُورِ صُـــلْبَانِ؟!
بِبَـــــاطِلِهِمْ وَٱلْحَـــــقُّ قَـــــاهِرُهُمْ		رُدُّوا بِخِزْيٍ وَإِذْلَالٍ وَخُسْرَانِ بِأَنَّـهُ حَافِـظٌ
ٱللَّهُ أَكْبَـــرُ آيُ ٱلذِّكْـــرِ شَاهِـــدَةٌ		بِصَـــــــــــــرِيحِ فُرْقَـــــــــانِ
ذُقْ ﴿نَحْـنُ نَزَّلْنَـا ﴾ تَفْهَـمْ إِشَـارَتَهَا		قَلْـبِي ٱطْمَـأَنَّ بِهَـا فِي حِصْـنِ دَيَّانِ
﴿إِنَّا لَنَنْصُـرُ ﴾ حِصْـنُ ٱلْمُـؤْمِنِينَ نَعَـمْ		وَفِي ﴿يُـــدَافِعُ ﴾ بُرْهَـــانٌ لَنَـــا ثَانِ
ٱللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ جَمَعُوا جُمُوعَهُمُو رُدُّوا وَخَابُوا		

---

(1) ليلة الإثنين 14 ربيع الثاني سنة 1333 هجرية، أي قبل أربعة أشهر من تاريخ القرار الذي أصدره الحاكم العام الإنجليزي للسودان بإقصاء فضيلته من منصبه كأستاذ للشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ تُنبِئُنَا ٱلْحَقُّ يَعْلُو وَمَنْ	كَيْ يُطْفِئُوا ٱلنُّورَ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانِّ
عَادَاهُ يَمْحَقُهُ	عَنِ ٱلْحَقِيقَةِ فَٱقْرَأْهَا بِإِيمَانِ
هُمْ يَمْكُرُونَ وَلاَ يَدْرُونَ عَاقِبَةً	بِٱلْقَهْرِ وَٱلذُّلِّ أَوْ بِشُوَاظِ نِيرَانِ
لاَ تُبْقِ مِنْهُمْ وَبَاغِتْهُمْ بِقَاصِمَةٍ	وَٱلْمَكْرُ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ نَصُّ قُرْآنِ
أَمْهَلْتَهُمْ فَطَغَوْا جَهْلاً بِمُنْتَقِمٍ	أَرِحْ عِبَادَكَ مِنْ عُبَّادِ صُلْبَانِ
نَكِّسْ صَلِيبَهُمُو مَزِّقْ جُمُوعَهُمُو بَاغِتْهُمُو	وَأَفْسَدُوا ٱلدِّينَ عَاجِلْهُمْ بِحِرْمَانِ
بِشُوَاظِ ٱلنَّارِ مَاحِقَةً	وَٱمْحَقْهُمُو سَيِّدِي فِي كُلِّ أَرْكَانِ
أَمْهَلْتَهُمْ فَطَغَوْا كُفْرًا بِنِعْمَةِ مَنْ عَادَوْا قُرْآنًا	لاَ تُبْقِ مِنْهُمْ فَهُمْ مِنْ نَسْلِ شَيْطَانِ
وَعَادَوْا أَهْلَهُ وَبَغَوْا	أَوْلَىٰ عَطَايَاهُ مِنْ مِنَنٍ وَإِحْسَانِ
إِنْ تُمْهِلَنْهُمْ يُضِلُّوا ٱلْخَلْقَ أَجْمَعَهُمْ	أَهْلِكْ أَعَادِيَ تَوْحِيدٍ وَفُرْقَانِ
قَدْ أَجْمَعُوا لِيُزِيلُوا ٱلْحَقَّ مِنْ سَفَهٍ	أَلْقِيهُمُو فِي حَمِيمِ حَضِيضِ نِيرَانِ وَٱلْحَقُّ
أَظْهِرْ بِكَ ٱلْحَقَّ أَيِّدْ أَهْلَهُ كَرَمًا أَهْلُ	يَعْلُو بِآيَاتٍ وَبُرْهَانِ
ٱلصَّلِيبِ لَقَدْ رَامُوا مُحَارَبَةً	كَيْ يَظْهَرَ ٱلدِّينُ يَامَوْلَى بِإِيمَانِ
أَهْلَكْتَ عَادًا فَأَهْلِكْهُمْ بِقَاصِمَةٍ	لِلْحَقِّ وَٱلْحَقُّ يَمْحَقُ ذَا جَهْلٍ وَطُغْيَانِ
أَيِّدْ شَرِيعَتَكَ ٱلسَّمْحَا بِنَصْرِكَ يَا	لِلظَّهْرِ تَمْحَقُهُمْ فِي كُلِّ أَزْمَانِ
ٱللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ ٱلْحَقُّ فَٱنْمَحَقَتْ ٱللَّهُ أَوْلَىٰ	غَوْثَ ٱلشَّرِيعَةِ فِي سِرٍّ وَإِعْلاَنِ
بِنَا مِنَّا وَنَاصِرُنَا	بِٱلنُّورِ ظُلُمَاتُ كُفَّارٍ وَشَيْطَانِ
ثُمَّ ٱلْوَسِيلَةُ خَيْرُ ٱلرُّسْلِ أَجْمَعِهِمْ	وَٱلدَّافِعُ ٱلشَّرَّ عَنْ دِينٍ وَإِيمَانِ
ثُمَّ ٱلصَّلاَةُ عَلَيْهِ دَائِمًا أَبَدًا	طَهَ ٱلشَّفِيعُ لِنَيْلِ عَمِيمِ إِحْسَانِ
	مِنَ ٱلإِلَهِ بِهَا نَحْظَىٰ بِرِضْوَانِ

قال [1] :

قطعة:3 *ٱلإِسْلاَمُ وَطَنٌ وَٱلْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا أَهْلُهُ* أبياتها: 6

رويها:الهاء * غرة المحرم 1338هـ* بحرها:البسيط

بِرَبِّكُمْ وَطَنِي ٱلإِسْلاَمُ أَفْدِيهِ وَٱلْمُسْلِمُونَ		بِـــاَلنَّفْسِ وَٱلْمَـــالِ وَٱلـــرَّحْمَٰنُ يُعْلِيـــهِ
هُمُــو نَفْسِــي وَحُبُّهُمُــو وَكُــلُّ مَــنْ نَاوَأَ		فَــرْضٌ عَلَــيَّ بِصِــدْقِ ٱلْقَــوْلِ أَرْوِيــهِ
ٱلإِسْلاَمَ غَطْرَسَةً ٱلـدِّينُ مَـوْطِنُ نَفْسِـي		هُـــوَ ٱلْعَـــدُوُّ بِعَـــوْنِ ٱللَّهِ أَرْمِيـــهِ
أَصْـــــــــلُ رِفْعَتِهَـــــــــا		مِـنْ شَـرِّ كُـلِّ أُولِي ٱلطُّغْيَـانِ تَحْمِيـهِ
بِـهِ ٱسْـتَظَلَّتْ وَبِـاَلنُّورِ ٱلْمُبِـينِ لَقَـدْ		رَأَتْ مَشَـــاهِدَ تَقْــدِيسٍ وَتَنْزِيـــهِ
نَفْسِـي قَلِيـلٌ وَمَـالِي أَنْ أَجُـودَ بِـهِ		لِـلِّـهِ فِي ٱلــدِّينِ حَقًّــا لاَ بِتَمْوِيــهِ

(تم بحمد الله وحسن توفيقه)

(1) غرة محرم سنة 1338 هجرية.

خاتم الوراث المحمديين

الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم

فى سطور

نسبه: سليل آل البيت الطاهرين، حسنى من جهة والدته، حسينى من جهة والده. مولده: ولد يوم الإثنين 27 رجب سنة 1286هـ الموافق 1869/11/2 م بمسجد سيدى زغلول برشيد.

وظائفه: عمل بالتدريس، ثم تدرج في سلك الوظائف حتى صار أستاذا للشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم.

إقالته من وظيفته: كان يرى أن أهم وظائف الرجل الدينى الإرشاد والنصيحة للحاكمين، بل لعامة الناس، والتحذير من الوقوع في حبائل الإستعمار فأقصاه الحاكم العام الإنكليزى من وظيفته في يوم الأحد 19 رمضان سنة 1333هـ الموافق 1915/8/1م.

مطالبته بعودة الخلافة: بعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة في يوم الأحد 26 رجب 1342هـ الموافق 1924/3/2م إلغاء الخلافة الإسلامية، دعا الإمام لتأسيس جماعات للخلافة الإسلامية بجميع أنحاء العالم الإسلامى، وانتخب رئيسا لجمعية الخلافة الإسلامية بمصر في يوم الخميس 13 شعبان 1342هـ الموافق 1924/3/20م، وناب عن شعب مصر في حضور مؤتمر الخلافة الإسلامية الذى انعقد في مكه المكرمة سنة 1344هـ 1926م في أشهر الحج.

دعوته: أسس جماعة آل العزائم سنة 1311هـ الموافق 1893م والطريقة العزمية سنة 1353هـ الموافق 1934م ومقرها 114 شارع مجلس الشعب بالقاهرة.

مؤلفاته: تذخر المكتبة الإسلامية بمئات الكتب من مؤلفاته في التفسير، والفقه، وعلم الكلام، والتصوف، والفتاوى، والسيرة، والمواجيد.

انتقاله: انتقل إلى الرفيق الأعلى ليلة الأثنين 27 رجب سنة 1356هـ الموافق 1937/10/3م ودفن بمسجده بشارع مجلس الشعب بالقاهرة.

خليفته الأول: ابنه الأكبر الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبو العزائم، شكل عمرا جديدا لدعوة الإمام ونشر تراثه العلمي، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الثلاثاء 20 ربيع الأول سنة 1390هـ الموافق 1970/5/26م، ودفن يوم الخميس 22 ربيع أول 1390هـ الموافق 1970/5/28م بمسجد والده الإمام بشارع مجلس الشعب.

خليفته الثانى: السيد عز الدين ماضى أبو العزائم المحامي بالنقض، حفيد الإمام، والإبن الأكبر للخليفة الأول.

تحذير

لقد مرد البعض على تزييف مؤلفات الإمام المجدد السيد مُحَمَّد ماضى أبى العزائم، بالتغير والحذف والحشو والإضافة، كما مردوا مرة أخرى إلى تغير أسماء كتب الإمام بأسماء تتفق مع أهوائهم، وإمعانا في هذا التعدي على الإمام وتراثه العلمى، فقد لجأ هؤلاء إلى بعض الهيئات ودور النشر لطبع هذه المؤلفات، بصورة تودى بالهدف الذي توخاه الإمام من كتابته، كاختزال عناوين كتبه، اختزالا مخلا يفوت ما أراده الإمام من جعل عنوان الكتاب تعبيرا صحيحا عما ورد بين دفتيه، كما حذفت عن عمد مقدمات الكتب الواردة بالطبعات السابقة، واستعيض عنها مقدمات أخرى. كما أن يد التبديل والحذف والإضافة قد عبثت بصلب هذه المؤلفات عبثا أبسط ما قال عنه أنه تشويه لما كتبه الإمام، وطمس لآثاره العلمية، ومنع لوصول مفاهيم معينة أراد لها أن تصل إلى الناس.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾

لكل هذا فإننا نحذر القارىء المسلم- على وجه العموم- وإخواننا آل العزائم- على وجه الخصوص- من هؤلاء الذين ضيعوا تراث الإمام ولم يحافظوا عليه، وصدق الله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

وذلك بعدم قبول أى مؤلف من مؤلفات الإمام إلا إذا كان صادراً من مشيخة الطريقة العزمية، وبإذن من سماحة السيد علاء الدين ماضى أبى العزائم بصفته شيخا للطريقة العزمية، والقائم على دعوة جده الإمام، ونشر تراثه العلمى.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهـداء	2
تقديم	3
فاتحة الكتاب	6
مقدمة	13
الباب الأول الجهاد وأحكامه وأساسه وأنواعه	16
الفصل الأول الجهاد	16
تعريف الجهاد	16
من العدو الذى أحاربه	16
أولا: أعداء ملازمون	17
ثانيا: أعداء مفارقون	18
ثالثا: أعداء خارجون	19
1- العدو المظاهر العلنى	19
2- العدو المداهن السياسى	19
الفصل الثانى الجهاد وأحكامه	21
ثبوت فريضته	21
أولا: ثبوت فريضة الجهاد بالكتاب	21
ثانيا: ثبوت فريضة الجهاد بالسنة	22
كراهية النفس للقتال مع أنه خير لها في الدنيا والآخرة	23
حكم الله في موالاة الأعداء	24
حكم ترك الجهاد	25

الصفحة	الموضوع
25	عاقبة ترك الجهاد
27	ألوان من فتن الاستعمار
27	كل مسلم مطالب بالجهاد
30	الفصل الثالث: الجهاد وأساسه
30	أساس الجهاد
31	أولا: العدل
31	أنواع العدل
31	العدل يأمر به الكتاب وتحث عليه السنة
32	دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة
33	ثانيا: المصلحة
35	الفصل الرابع الجهاد وأنواعه
35	الجهاد نوعان
35	أولا: جهاد النفس
35	ثانيا: جهاد العدو
36	1- الجهاد بالمال
37	كل بلاء يصيب المؤمن في سبيل الجهاد هو أكمل النعم عليه
37	2- الجهاد بالنفس
38	تعدد المفاهيم في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾
39	تسمية البذل في سبيل الله إقراضاً له تعالى
41	الباب الثانى: أهداف الجهاد
41	أولا: القتال للمعاملة بالمثل

الصفحة	الموضوع
42	ثانيا: القتال لدفع العدوان
43	ثالثا: القتال لكسر شوكة العدو
43	رابعا: القتال لمن أخرجونا من ديارنا وأموالنا
43	خامسا: القتال لمن يفتن المسلمين عن دينهم
44	حقيقة المرتد عن دين الإسلام
45	حكم من ارتد بباعث قهرى
45	سادسا: القتال من أجل المستضعفين
46	سابعا: القتال حتى يكون الدين كله لله
48	الباب الثالث: حكم الجهاد وشروطه وآدابه
48	الفصل الاول: حكم الجهاد
48	أولا: دفع المظالم
50	ثانبا: تحقيق الرحمة العظمى
52	الفصل الثانى: شروط الجهاد
52	أولا: أن نقاتل في سبيل الله
53	ثانيا: أن نأخذ من هزائم الأمم السابقة عبرة وعظة
55	ثالثا: أن نحافظ على الصلاة حتى في وقت الفزع الاكبر
56	رابعا: أن نطيع القائد ونبتعد عن الشهوات
557	خامسا: أن نعتقد أن العدو القليل المؤمن خير من الكثير الغير مؤمن
57	سادسا: أن ننصر الله على أنفسنا
59	الفصل الثالث: آداب الجهاد
59	الجهاد فريضة على المؤمن

الموضوع	الصفحة
آداب المجاهد	60
أولا: أن يثبت المجاهد عند ملاقاة الأعداء	60
ثانيا: أن يذكر المجاهد الله كثيرا	60
ثالثا: أن يكون المجاهد مطيعا لله ورسوله	60
رابعا: ألا تكون الأمة المجاهدة متنازعة متفرقة	61
خامسا: أن يتحلى المجاهدون بالصبر	63
الباب الرابع: موجات النصر	64
أولا: الصبر	64
ثانيا: المصابرة	66
المصابرة وأنواعها	66
ثالثا: المرابطة	68
مواطن المرابطة	68
أداب المرابطة	69
نتائج مرابطة أهل الجهالة	69
المرابطة الحقة هى التى تعمل على ثغور الإسلام	70
هل حالتنا الحاضرة وأعمالنا مرابطة على ثغور الإسلام	70
ما هى أنواع المرابطة	71
الثغور التى يجب أن توصد في وجه العدو وتحصن بأمنع الحصون	72
أولا: ثغور الإسلام من ناحية الأحكام	74
ثانيا: ثغور الإسلام من ناحية المجتمع الإسلامى	74
ثالثا: ثغور الإسلام من ناحية البلاد الإسلامية	75

الموضوع	الصفحة
أ- ثغوره الحسية	75
ب- ثغوره المعنوية	76
رابعا: تقوى الله	78
تقوى الله والعمل بالسنة	78
الباب الخامس: حياة الشهداء	79
الفرق بين لفظ السبيل مفردا وجمعا	79
مقام العندية ومقام اللدنية	80
كيف يكون الشهداء أحياء	81
الخاتمة:نصائح للمجاهدين	82
قصائد في الجهاد	84
النسب	87
تحذير	89